العدد 670 – الأحد 22 كانون الأول/ ديسمبر 2024 – السنة الثالثة عشرة www.enabbaladi.net

عنب بلدي

جريدة أسبوعية
تأسست في داريا

من كرْم الثورة

enab baladi

إجراءات اقتصادية يجب أن تسبق تغيير العملة السورية

06

قائد إدارة العمليات العسكرية أحمد الشرع يعلن انتصار الثورة السورية من المسجد الأموي بدمشق – 8 كانون الأول 2024 (AFP)

دكومة المرحلة أمام اختبار الـ90 يومًا

ملف خاص

أخبار سوريا 02

إسرائيل تتجاوز مزاعم أمنها بالقصف والتوغل جنوبًا

تقارير مراسلين 04

أجور النقل ترتفع 300% في دمشق

تقارير مراسلين 04

حلب.. موظفون بمستقبل مجهول

تقارير مراسلين 05

درعا.. أم ولد تعاني نقص الخدمات الطبية

مجتمع 14

آثار نفسية لمشاهد زنازين الموت في سوريا

رياضة 19

تحديات بالجملة تنتظر الدوري السوري

14

الدمار يمنع سوريين من العودة إلى منازلهم

اصطدم حلم المهجرين السوريين داخليًا وخارجيًا خلال الأيام الماضية بالعودة إلى منازلهم مع الواقع الذي خلفه قصف نظام بشار الأسد للمناطق المدنية، والسماح لـ"الشبيحة" والميليشيات باستباحة منازل المهجرين، لينهبوا ويدمروا ما لم تطله القنابل.
آلاف المهجرين توجهوا إلى بلداتهم وقراهم بعد السيطرة عليها من قبل "إدارة العمليات العسكرية"، لكن لم يستطيعوا العيش في منازلهم، بسبب دمارها بشكل كامل أو تعرضها لدمار كبير.
وفي 27 من تشرين الثاني الماضي، كان السوريون على موعد مع حدث لم يتوقعوه، وهو بدء عمل عسكري ضد نظام بشار الأسد والسيطرة على مناطق جديدة، ما يمنح المهجرين فرصة للعودة إلى قراهم...

ما خيارات سوريا

إسرائيل تتجاوز مزاعم أمنها بالقصف والتوغل جنوبًا

عنب بلدي – خالد الجرعتلي

لم تكتمل فرحة السوريين بخلع نظام بشار الأسد من الحكم في البلاد، حتى تحركت إسرائيل بزعم مخاوفها من التغيرات التي طرأت في سوريا، عبر استهداف قواعد عسكرية ومخازن أسلحة ومطارات لجيش النظام السابق في عموم المحافظات السورية، تزامنًا مع توغل بري في الجنوب لا يزال مستمرًا حتى اليوم.

ورغم التصريحات الإسرائيلية المتكررة عن أن جيشها لم يخرج من المنطقة العازلة (المنطقة منزوعة السلاح)، رصدت تحركات لآليات إسرائيلية في ريف درعا الغربي، وأخرى في منطقة جبل الشيخ الواقعة خارج المنطقة العازلة.

وفي الوقت نفسه، يتحدث رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، عن أن القوات الإسرائيلية التي احتلت أجزاء من سوريا مؤخرًا ستبقى فيها لأجل غير مسمى.

ونقلت وكالة "أسوشيتد برس" الأمريكية عن نتنياهو، أن إسرائيل تخطط للبقاء لبعض الوقت في جبل الشيخ، "حتى يتم التوصل إلى ترتيب آخر يضمن أمن إسرائيل".

وكان نتنياهو أبدى اهتمامه بإقامة علاقات مع "النظام الجديد" في سوريا، بعد مرور بضعة أيام على إسقاط نظام بشار الأسد في دمشق.

إلى أين دخلت إسرائيل

في 11 من كانون الأول الحالي، أي بعد ثلاثة أيام من إسقاط النظام، أوضح الجيش الإسرائيلي توزع وانتشار قواته في الجنوب السوري.

وقال المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي للإعلام العربي، أفيخاي أدرعي، إن أربع فرق قتال تضم قوات مشاة، وكوماندوز، وهندسة، ومدرعات، و"يهلوم" (سلاح الهندسة القتالي)، واستطلاع، تعمل على أداء مهمة الدفاع الأمامي الاستباقي بقيادة "الفرقة 210"، منتشرة في سوريا.

وأضاف عبر "إكس" أن قوات فريق "القتال اللوائي 474" تواصل عملها في نقاط السيطرة ضمن المنطقة العازلة، حيث تعمل ضد "التهديدات على الخط الحدودي والأهداف الإرهابية المرصودة".

أدرعي قال أيضًا، إنه خلال عمليات التمشيط عثر الجيش الإسرائيلي على عدة دبابات سورية غير مستخدمة وصادرها.

من جانبه، قال رئيس أركان الجيش الإسرائيلي، "نحن لا نتدخل فيما يحدث في سوريا. نحن هنا لمنع تموضع عناصر إرهابية في المنطقة".

وأضاف، "أعتقد أن الاستعدادات على طول الحدود، من جبل الشيخ وحتى نقطة التقاء الحدود الإسرائيلية- السورية- الأردنية، هي استعدادات صحيحة وجيدة".

وبينما يشوب التحركات الإسرائيلية على الحدود السورية الغموض، نقلت إذاعة الجيش الإسرائيلي عن مصدر عسكري قوله، إن السيطرة على المنطقة العازلة في سوريا هي عملية "مؤقتة" عقب "تهديد الميليشيات".

ماذا تريد إسرائيل

كانت العلاقة بين إسرائيل والنظام السوري السابق متوترة على الدوام بظاهرها، لكنها لم تبدُ كذلك عندما أطلقت إسرائيل عملياتها العسكرية في لبنان ضد حليف النظام "حزب الله".

ومنذ 7 من تشرين الأول 2023، عند اندلاع "طوفان الأقصى" في فلسطين، اتبعت إسرائيل استراتيجية الهجوم المباشر وفرض الواقع بالقوة، وهو ما فعلته في غزة وفي لبنان، وأخيرًا في سوريا، وفق ما يراه الباحث المتخصص في الشأن العسكري بمركز "حرمون للدراسات المعاصرة"، نوار شعبان.

وأضاف شعبان أن ما فعلته إسرائيل ليس مرتبطًا فقط بسقوط النظام السوري، بل هناك أمور تتعلق بتأمين حدودها، وقضايا أخرى، لكن استراتيجيتها تعتمد على الانتقال من "الهجوم الجراحي" إلى "الهجوم المباشر".

الباحث قال، إن إسرائيل دخلت سوريا من أربعة محاور، الأول في خان أرنبة ومدينة "البعث" بمحافظة القنيطرة، والثاني في ريف المحافظة الجنوبي،

رغم ضغط الشارع والمتغيرات..

"قسد" تتمسك بأوراق قوتها

عنب بلدي – علي درويش

زاد الضغط الشعبي والسياسي والعسكري على "قوات سوريا الديمقراطية" (قسد) بعد سقوط نظام بشار الأسد، وسيطرة "إدارة العمليات العسكرية" على معظم مساحة سوريا الجغرافية.

الضغط الشعبي والعسكري على "قسد" تبعته تصريحات دول غربية على رأسها الولايات المتحدة، بتغير وضع الساحة السورية والتي حصلت خلالها "قسد" على سلاح ودعم غربي، لكنها لا تزال متمسكة بمواقفها ومطالبها، وطريقة إدارتها للمنطقة أمنيًا، خاصة مع معارضيها.

حواضن لحكومة دمشق

مناطق سيطرة "قسد" شمال شرقي سوريا، التي تشمل محافظتي الحسكة والرقة والقسم الشرقي من محافظة دير الزور، وأجزاء من ريف حلب الشرقي، معظمها يعتبر حواضن شعبية لحكومة تسيير الأعمال بدمشق.

الباحث في مركز "عمران للدراسات الاستراتيجية" أسامة شيخ علي، يرى أن الأثر الأكبر الآن على "قسد" أن غالبية الشعب في المحافظات الثلاث وبمختلف أطيافه معارض للنظام السابق، وكان عندما يقارن بين النظام و"قسد" يفضّل الأخيرة على أن يعود إلى سيطرة نظام بشار الأسد.

وأضاف الشيخ علي لعنب بلدي، أن الوضع حاليًا تغيّر، والشعب في هذه المنطقة معارض للنظام وسعيد بسقوطه ومتفائل بالتغير الحاصل والإدارة الجديدة في دمشق.

والرأي العام الآن يطالب بالوصول إلى حل مع الإدارة الجديدة، وعدم البقاء بهذه الحالة المعلّقة، بالتالي خرجت مظاهرات بعدة مناطق وتوجد مطالب شعبية إلى جانب ضغط من فصائل عسكرية بهذا الاتجاه، "لذلك من الصعب بقاء الوضع في الفترة المقبلة على ما كان عليه بالنسبة لـ(قسد)"، وفق تعبير الشيخ علي.

"إدارة العمليات العسكرية" في شمال غربي سوريا أطلقت معركة "ردع العدوان" ضد قوات النظام السابق في 27 من تشرين الثاني الماضي، وسيطرت بشكل متسارع على المدن والبلدات وصولًا إلى دمشق وإسقاط النظام في 8 من كانون الأول الحالي.

قوات النظام خلال هذه الفترة سحبت قواتها من مختلف المناطق لصد هجوم الفصائل على حمص وحماة، وإحدى مناطق انسحابها كانت محافظة دير الزور.

"قسد" استغلت الوضع ودخلت إلى مدينة دير الزور، في 6 من كانون الأول، وهو ما قوبل برفض شعبي طالب "إدارة العمليات" بإرسال قوات لطرد "قسد"، وهو ما حدث بالفعل في 11 من كانون الأول.

وشهدت الحسكة والرقة مظاهرات مناهضة لـ"قسد"، قابلتها الأخيرة بإطلاق نار أدى إلى مقتل أربعة مدنيين وإصابة آخرين.

أوراق قوة "قسد"

الباحث المتخصص في شؤون شمال شرقي سوريا سامر الأحمد، قال لعنب بلدي، إن "قسد" تحاول استغلال أوراق قوتها لتحقيق مكاسب سياسية من حكومة تسيير الأعمال في دمشق.

أوراق قوة "قسد" تتمثل بسيطرتها على معظم حقول النفط والغاز السوري كحقول العمر ورميلان للنفط وكونيكو للغاز (معمل غاز الطابية) ومحطة السويدية الحرارية، إلى جانب وجود سدود مهمة كسد الفرات في محافظة الرقة وهو أكبر سدود سوريا وسد تشرين في مدينة منبج شرقي حلب.

يضاف إلى أوراق قوتها ملف معتقلي تنظيم "الدولة الإسلامية" في سجونها، وسيطرتها على مخيمات تقطن فيها عائلات التنظيم، وتحاول "قسد" استغلال الدعم الدولي لها بهذا الموضوع أيضًا.

ويقبع آلاف الأسرى من مقاتلي التنظيم "الدولة" في سجون "قسد"، وينحدرون من 60 دولة، وذلك منذ أن سيطرت على مساحات من شرق الفرات، حيث كان التنظيم ينتشر قبل عام 2017.

الباحث أسامة شيخ علي أشار إلى أن "قسد" تملك أيضًا أوراق قوة أخرى، وهي دعم التحالف الدولي لها، وقوتها العسكرية، فلديها قوات عسكرية مدربة.

إبحاء بالتفاوض

أوضح الباحث سامر الأحمد أن "قسد" تحاول أن توحي بأنها تفاوض، وأن لا مشكلة لديها بالمفاوضات، وبنفس الوقت تعزز سيطرتها وسطوتها الأمنية في مناطق سيطرتها، وذلك عبر فرض التجنيد الإجباري والاعتقالات والملاحقات وغيرها من الأمور.

لكن يوجد أمام "قسد" عائق مهم، وهو تركيا التي ترفض أي ارتباط أو وجود لحزب "العمال الكردستاني" بمستقبل سوريا، و"قسد" حتى الآن لا تعطي إشارات واضحة بإمكانية الفصل عن "العمال الكردستاني" وهذه مشكلة، وفق الأحمد.

وقال الأحمد، "أعتقد نحن أمام مأزق سياسي بين (قسد) وحكومة دمشق، حكومة دمشق بالنهاية لا تريد الدخول بصراع مسلح جديد، لكن هذا الصراع كان موجودًا على الطاولة، و(قسد) لم تعطِ حتى الآن إشارات واضحة بالتخلي عن السلاح والانضمام إلى الإدارة الجديدة"، وفق الأحمد.

التوازن اختل

يرى أسامة الشيخ علي أن "قسد" ومظلتها السياسية "الإدارة الذاتية" الآن في حالة إرباك وقلق مما حدث في سوريا، فـ"الإدارة" كانت قائمة على التوازنات بين قوى الداخل (معارضة، نظام، إدارة ذاتية)، وكانت تحاول أن تلعب على هذا التوازن.

والآن مع سقوط النظام، اختل هذا التوازن وهناك طرفان فقط، السلطة الجديدة في دمشق و"الإدارة الذاتية"، "لذلك موقفها صار أصعب وأوراقها قلّت بشكل كبير"، وفق الشيخ علي.

لكنّ هناك عاملًا لا يمكن إنكاره وهو الموقف الأمريكي، حتى الآن الوجود الأمريكي يعوق أي تقدم عسكري للفصائل أو للجيش التركي للقضاء على "الإدارة الذاتية" عسكريًا.

ووفق الشيخ علي، حتى إن انسحبت أمريكا من سوريا، فإن موضوع القضاء على "قسد" بطريقة عسكرية سيكون صعبًا وبتكلفة عالية جدًا وتداعيات كبيرة على المنطقة.

قوات الاحتلال الإسرائيلي إلى المنطقة العازلة على الحدود السورية مع الجولان المحتل- 9 كانون الأول 2024 (أفيخاي أدرعي/ إكس)

إلى جانب أهم محورين هما قمة جبل الشيخ، وبيت جن بريف دمشق الغربي.
ووسعت إسرائيل تحركاتها جنوبًا وصولًا إلى منطقة صيدا الواقعة على المثلث الحدودي بين الأردن وسوريا والجولان السوري المحتل، وتعكس هذه الآلية، وفق شعبان، عدم وجود نية الانسحاب بالنسبة لإسرائيل، رغم أن المسؤولين الإسرائيليين يتحدثون عن فترة مؤقتة.

وتتعامل إسرائيل مع الجنوب السوري من منظور مصلحتها الأمنية فقط، أي لا تهمها الاتفاقيات، أو ما يجري في الداخل السوري عمليًا، وفق الباحث.

الشرع: لا مبرر لتحركات إسرائيل

تواصلت عنب بلدي مع العلاقات العامة لـ"إدارة العمليات العسكرية" مرارًا، للحصول على تعليق حول موقفها من التحركات الإسرائيلية، والخيارات المتاحة لوقف هذه التحركات، لكنها لم تحصل على إجابات حتى لحظة تحرير هذا الخبر.

قائد "إدارة العمليات العسكرية"، أحمد الشرع (أبو محمد الجولاني)، قال إن حجج إسرائيل انتهت، معتبرًا أنه لا توجد حجج لتدخل خارجي الآن في سوريا بعدما أنهت الفصائل وجود إيران في البلاد.

وأوضح الشرع أن الوضع الراهن لا يسمح بالدخول في أي صراعات جديدة، مشيرًا إلى أن الإسرائيليين تجاوزوا خطوط الاشتباك في سوريا بشكل واضح، ما يهدد بتصعيد غير مبرر في المنطقة.

من جانبه، رد رئيس أركان الجيش الإسرائيلي، هرتسي هاليفي، على تصريحات الشرع، معتبرًا أن إسرائيل تركز على أمنها.

وقال هاليفي، إن إسرائيل تركز على أمنها، ولا هدف لديها للتدخل في سوريا، ورفض تصريحات الشرع، معتبرًا أن الجيش الإسرائيلي يركز على تأمين الجولان المحتل من "التهديدات المتطرفة"، وأن إسرائيل لا تتدخل فيما يحدث داخل سوريا ولا تعتزم حكمها، وفق ما نقلته صحيفة "يديعوت أحرونوت" الإسرائيلية.

سوريا لا تملك الخيارات

عند سؤاله عن الخيارات المتاحة لمواجهة التحركات الإسرائيلية في الجنوب السوري، قال أحمد الشرع، لشبكة "BBC" البريطانية، إنه سيواجه هذه التحركات عبر القنوات الدبلوماسية والمجالس الدولية.

وأضاف أن سوريا دولة منهكة، لا يمكنها القتال اليوم.

وفي الوقت نفسه، تهافتت الإدانات العربية للتحركات الإسرائيلية في الجنوب السوري منذ بدئها، دون أي تغيير على الأرض.

الباحث في مؤسسة "القرن الدولية للبحوث والسياسات الدولية"، المتخصص بالشأن السوري سام هيلر، قال لعنب بلدي، "لا يبدو أن للمعارضة السورية العديد من الخيارات الجيدة، ومن المرجح أنها لن تتمكن من الانخراط في أكثر من مقاومة رمزية".

وأضاف أنه حتى المقاومة الرمزية قد تؤدي إلى "انتقام إسرائيلي ساحق".

وبقدر ما هاجمت إسرائيل سوريا قبل 8 من كانون الأول الحالي، يبدو الآن أنها غير مقيدة على الإطلاق، ربما بسبب تقلص البصمة الروسية في البلاد، وفي الوقت نفسه، لا يمكن الاعتماد على الولايات المتحدة لكبح جماح إسرائيل، وفق الباحث.

وحول الضربات الإسرائيلية، رجّح هيلر أن تستنفد إسرائيل مخزونها من الأهداف في سوريا ثم تتوقف عن القصف الجوي.

من جانبه، يعتقد الباحث في مركز "حرمون" نوار شعبان، أن لا قدرة للحكومة الجديدة في سوريا على التحرك ضد إسرائيل، باستثناء النشاط السياسي والدبلوماسي.

وفي مطلع العام الحالي، انتشرت نقاط مراقبة روسية في جنوبي سوريا، كانت تهدف لضبط نشاط المجموعات الموالية لإيران في المنطقة.

ونشرت وزارة الدفاع الروسية، في 3 من كانون الثاني الماضي، نقطتين جديدتين في الجولان السوري المحتل، لمراقبة وقف إطلاق النار بين سوريا وإسرائيل.

وقال نائب رئيس "المركز الروسي للمصالحة" (يتبع لوزارة الدفاع الروسية)، الأميرال فاديم كوليت، إن بلاده ثبتت نقطتين عسكريتين جنوبي سوريا على خلفية تزايد وتيرة الاستفزازات في المنطقة منزوعة السلاح.

وبحسب ما نقلته الوكالة الروسية للأنباء (تاس)، فإن النقاط الجديدة تمركزت فيها وحدات من الشرطة العسكرية الروسية من أجل "مراقبة وقف إطلاق النار".

اليوم لم يعرف مصير القوات الروسية في الجنوب السوري، لكن يرجح أنها انسحبت باتجاه القاعدة العسكرية الجوية الروسية في محافظة اللاذقية على الساحل السوري.

وتعمل "قسد" الآن على تشكيل وفد والذهاب إلى دمشق للتفاوض مع "القيادة العامة" في سوريا، وعلى صعيد آخر هناك مفاوضات كردية-كردية بين "قسد" و"المجلس الوطني الكردي" لتشكيل وفد كردي موحد للتفاوض مع دمشق.

وفي حال نجحت "قسد" بتشكيل وفد كردي موحد والذهاب إلى دمشق، سيكون موقفها التفاوضي أقوى، لكن بحسب الشيخ علي، هذا الأمر صعب تحقيقه الآن بسبب التجارب السابقة، أي تجارب مفاوضات "المجلس الوطني الكردي" مع "قسد".

ورجح الشيخ علي أن "القيادة العامة" في سوريا تفضل حل موضوع "قسد" عن طريق التفاوض، "لكن لا أعتقد أنهم سيقبلون بالوضع القائم حاليًا، إذا لم تصل المفاوضات إلى نتيجة محددة وواضحة، أعتقد أن القيادة العامة يمكن أن تتجه إلى الحل العسكري، خاصة إذا كان موضوع الانسحاب الأمريكي واردًا وعدم الاهتمام الأمريكي بهذا الموضوع"، وفق قوله.

تصريحات لا تصب بمصلحة "قسد"

قالت وزيرة الخارجية الألمانية، أنالينا بيربوك، إنه يجب نزع سلاح "قسد" وضمها إلى قوات حكومة تسيير الأعمال في دمشق.

وجاء تصريح بيربوك بعد محادثات مع نظيرها التركي، هاكان فيدان، بالعاصمة التركية أنقرة، في 20 من كانون الأول الحالي.

وبحسب ما نقلته وكالة "رويترز" عن بيربوك في مؤتمر صحفي، فإن أمن الكرد ضروري لسوريا حرة، ولكن يجب أيضًا معالجة المخاوف الأمنية التركية لضمان الاستقرار، "يجب نزع سلاح المجموعات الكردية ودمجها في هيكل الأمن الوطني".

موضوع "قسد" كان حاضرًا أيضًا في نقاشات الوفد الأمريكي الذي التقى مع قائد "القيادة العامة" في سوريا، أحمد الشرع (أبو محمد الجولاني)، في دمشق.

مساعدة وزير الخارجية الأمريكي، باربارا ليف، قالت في مؤتمر صحفي عُقد عن بعد حضرته عنب بلدي، إن الظروف التي دفعت الكرد في شمال شرقي سوريا للدفاع عن أنفسهم تغيرت بشكل كبير للغاية.

وأضافت ليف أن وقف إطلاق النار في مدينة عين العرب/كوباني، والانتقال المنظم لدور "قسد" أفضل السبل للمضي قدمًا.

وأكد الوفد الأمريكي أهمية الإدماج والتشاور الواسع خلال الفترة الانتقالية في سوريا.

قائد "قسد"، مظلوم عبدي، ذكر، في 19 من كانون الأول الحالي، أن تعاطي "إدارة العمليات العسكرية" وأسلوبها في التعامل مع الملفات الأساسية، هو ما يحدد إذا كانت سوريا تتجه نحو الاستقرار أم التصعيد، مضيفًا أن هناك "فرصة تاريخية" لتحقيق حلم الشعب السوري في بناء سوريا جديدة بعد سقوط نظام الأسد.

وفي نفس اليوم، اعترف عبدي بوجود مقاتلين أجانب في صفوف قواته، وأبدى استعداده لمغادرتهم الأراضي السورية، في حال تم التوصل لإطلاق نار.

ويحاول عبدي في هذا الطرح تخفيف التوتر مع تركيا التي طالما اعتبرت "قسد" امتدادًا لحزب "العمال الكردستاني"، وذلك يعود لتحكم كوادر حزب "العمال" خاصة الأجانب في مفاصل "قسد".

وفي لقاء آخر مع صحيفة "the world" البريطانية، في 19 من كانون الأول الحالي، دعا عبدي الولايات المتحدة إلى الضغط على تركيا، بهدف منع هجوم متوقع على مدينة عين العرب بريف حلب الشرقي.

في 17 من كانون الأول، أبدى عبدي استعداده لتقديم مقترح إنشاء منطقة منزوعة السلاح في مدينة عين العرب شرقي حلب، مع إعادة توزيع القوات الأمنية تحت إشراف ووجود أمريكي.

وأعلن عبدي، في 11 من كانون الأول، التوصل إلى "اتفاق لوقف إطلاق النار في منبج بوساطة أمريكية"، وذكرت الخارجية الأمريكية أن الاتفاق تم مديده لنهاية الأسبوع الحالي، لكن وزارة الدفاع التركية قالت إنها لم توافق على أي عملية لوقف إطلاق النار مع "قسد" في سوريا.

قادة في قسد في احتفال عسكري - آذار 2024 (قسد)

دمشق..

أجور النقل ترتفع 300%

تشهد مدينة دمشق أزمة مواصلات وارتفاعًا في أجور النقل – كانون الأول 2024 (مدينة دمشق الحرة/ تلجرام)

دمشق – أنس الخولي

بعد سقوط النظام السوري، في 8 من كانون الأول الحالي، شهدت مختلف مناطق دمشق وريفها أزمة مواصلات، مع ارتفاع في أسعار النقل بما يفوق قدرة المواطنين.

بحسب رصد مراسل عنب بلدي، فإن الأزمة سببها شح المحروقات في محطات الوقود، وغياب المازوت "المدعوم" بأسعار مخفضة، واستغلال السائقين وأصحاب الحافلات (السرافيس) الذين رفعوا أسعار تعرفة الركوب بشكل أكبر من المتوقع.

ثلاثة أضعاف

ارتفعت تعرفة الركوب بالنسبة لخطوط النقل داخل دمشق أو التي تصل بين دمشق العاصمة وضواحيها بنسبة 300%، ويخضع تحديد أجور النقل لأصحاب المركبات دون وجود أي جهة رقابية.

طلال الشامي (37 عامًا) يقيم في قدسيا، ويعمل في أحد مطاعم مدينة دمشق، قال لعنب بلدي، إنه كان يدفع 1500 ليرة سورية للانتقال من قدسيا إلى العاصمة، أما اليوم، فيدفع 5000 ليرة سورية، أي بنسبة تزيد على ثلاثة أضعاف أجور النقل في السابق.

وذكر طلال أن أجرته اليومية لا تتجاوز 40 ألف ليرة سورية، يضطر لدفع ربعها كأجور نقل (ذهابًا وإيابًا)، الأمر الذي سبّب له مشكلة كبيرة في كيفية تدبير أمور منزله وتأمين مصاريفه.

وفق مراسل عنب بلدي، يضطر المواطنون إلى القبول بالأجور التي يفرضها أصحاب "السرافيس"، بسبب قلة عددها في الوقت الحالي، كما تشهد مواقف الحافلات حالات تدافع بين الركاب للحصول على وسيلة النقل.

وتصل أجور النقل للمسافات القصيرة داخل دمشق إلى 3000 ليرة سورية، والمتوسطة إلى 5000 ليرة، أما أجور النقل بين دمشق والأرياف فتصل إلى 8000 ليرة، بينما تبلغ أجور النقل في "باصات" النقل الداخلي 2500 ليرة.

نقص وقود وغياب الدعم

أرجع أصحاب مركبات وسائقون قابلتهم عنب بلدي، ارتفاع أجور النقل إلى نقص الوقود لوسائل النقل الجماعي، وارتفاع أسعار المحروقات، إلى جانب تكاليف الصيانة، معتبرين أن الأسعار الحالية وإن كانت مرتفعة على المواطنين، لكنها في المقابل قليلة جدًا وغير كافية.

صالح العبيد (47 عامًا) يعمل سائق "ميكروباص" بسعة 14 راكبًا، قال لعنب بلدي، إنه واصل العمل دون توقف لتأمين قوت عائلته، معتبرًا أنه لو توقّف خلال هذه الفترة لكان أوفر له من دفع تكاليف المحروقات والصيانة.

وقال إنه وأصحاب السيارات يواجهون صعوبة في تأمين المازوت وبأسعار مرتفعة، لافتًا إلى أنه يعمل طيلة اليوم من أجل نقل دفعة واحدة من الركاب فقط، لعدم القدرة على تأمين محروقات كافية للقيام بعدة رحلات بين العاصمة وريفها.

وأضاف السائق أنه يدخل في مشاحنات وشجارات مع الركاب كل صباح، لأنهم يعتقدون أن ارتفاع الأجور سببها الجشع والطمع، لكنهم لا يأبهون بارتفاع أسعار المازوت، وارتفاع تكاليف الصيانة، وعدم توفر قطع التبديل للسيارات.

وبدأت أسعار المازوت تنخفض تدريجيًا في مدينة دمشق، منذ 15 من كانون الأول الحالي، وانخفضت من 18 ألف ليرة سورية لليتر إلى 15 ألفًا.

وبحسب رصد مراسل عنب بلدي في دمشق، فإن المحروقات متوفرة في بعض محطات الوقود، ومنقطعة في بعضها الآخر، لكنها متوفرة بكثرة في "السوق السوداء" وبأسعار مرتفعة عن سعر "الكازيات" ودون ضوابط.

أزمة متكررة

لا تعد أزمة المواصلات جديدة على العاصمة وعموم مناطق سوريا، فهي حالة متكررة منذ انطلاق الثورة السورية عام 2011، بسبب تدهور الحالة الاقتصادية، وارتفاع أسعار الوقود.

كانت حكومة الرئيس المخلوع، بشار الأسد، توزع مخصصات المحروقات على المقيمين في مناطق سيطرتها بشكل مقنن، ما يجبرهم على اللجوء لـ"السوق السوداء" لتغطية احتياجاتهم منها، حيث تختلف الأسعار وفق الطلب عليها، ووجود وفرة في المواد "المدعومة" أو عدمه، إذ تتضاعف حين حدوث أزمات متكررة في المحروقات، بينما تعاود الانخفاض حين توفر المواد بشكل نظامي.

كما كانت معظم أسعار المواد الاستهلاكية تتأثر بزيادة أسعار المحروقات، وسط تدني القوة الشرائية للسكان وتدهور الوضع الاقتصادي، بحيث تعتمد العديد من العوائل على حوالات السوريين من ذويهم المقيمين خارج سوريا، لتأمين الحد الأدنى من متطلبات المعيشة.

حكومة تسيير الأعمال المكلفة حتى آذار 2025، وعدت بتأمين الخدمات الأساسية للمواطنين، وحل المشكلات تدريجيًا، وسط ترقب وانتظار لانفراجات أولية لبعض الخدمات في المدى المنظور.

بانتظار قرارات الحكومة الجديدة

حلب..

موظفون بمستقبل مجهول

حلب – محمد العلي

تواجه نسبة واسعة من موظفي القطاع العام في حلب غموضًا بمستقبلهم الوظيفي، منذ سقوط النظام، وتسلّم حكومة تسيير الأعمال، بإشراف محمد البشير، زمام الإدارة.

رغم التطمينات من قبل مسؤولي حكومة تسيير الأعمال حول الإبقاء على الموظفين عمومًا في مواقعهم، لا سيما في المؤسسات المدنية الخدمية، وجد كثير من موظفي تلك المؤسسات أنفسهم في المنزل، ولا يزال مصير استعادتهم العمل في مؤسساتهم معلّقًا بانتظار قرار من الحكومة الجديدة.

قال معاذ (38 عامًا)، إنه يعمل في مؤسسة الإسكان العسكري بحلب منذ العام 2017، بموجب عقود سنوية يتم تجديدها بشكل شبه تلقائي، إذ كان يكفيه التوقيع على العقد في بداية كل سنة.

وأضاف أن موظفي المؤسسة لم يتلقّوا رواتبهم عن تشرين الأول الماضي، بسبب عزل مدير الفرع أحمد طويلة من منصبه، وشغور الموقع بصفته "آمر الصرف" في المؤسسة.

وبينما كان الموظفون ينتظرون رواتبهم عن تشرين الثاني أيضًا، التي من المفترض صرفها بين 5 و10 كانون الأول الحالي كما جرت العادة، فقد سقط النظام وتغيّرت الصورة كليًا.

موظفو المؤسسة ورغم قلقهم على مستقبلهم في الوظيفة بداية، استبشروا خيرًا بإمكانية تغيّر واقعهم المعيشي مع بداية عهد جديد يمنحهم حقوقهم، في وقت لا تتجاوز فيه رواتبهم بالحد الأقصى حاجز الـ400 ألف ليرة سورية (نحو 26 دولارًا أمريكيًا).

مصير مجهول

الرواتب لم تصل، وتوقّف عمل المؤسسة كليًا، بحسب معاذ، الذي قال إن أحد مسؤولي "هيئة تحرير الشام" اجتمع بالموظفين في البداية، لكنه أحال الأمر إلى مسؤول أعلى منه للبتّ في أمرهم نظرًا إلى عددهم الكبير، ووعدهم باجتماع في وقت لاحق لإبلاغهم بالقرار، لكن ذلك لم يحدث بسبب سفر المسؤولين المعنيين بالمسألة إلى دمشق.

وأوضح معاذ لعنب بلدي أنه أب لطفلين لم يتجاوزا الخامسة من العمر، وزوجته ربة منزل، ولا يملك دخلًا آخر سوى راتب الوظيفة الحكومية، مشيرًا إلى أن محاولاته في إيجاد عمل آخر لم تنجح، رغم أنه طرق كل الأبواب المتاحة، وأن مصيره معلّق حاليًا، لا سيما مع اقتراب العام من نهايته، ما يهدّد بعدم تجديد عقده مع المؤسسة.

الشاب الذي شغل موقعه الوظيفي بشهادة الثانوية العامة (البكالوريا)، لفت إلى أن مؤسسة "الإسكان العسكري" ورغم تبعيتها لوزارة الدفاع، فإنها مليئة بالموظفين المدنيين، ممن لم يكونوا عسكريين يومًا، إذ إنها تختص بالمشاريع الإنشائية مثل إعمار المناطق السكنية وإنشاء الطرق وغيرها، وبينما لا تضم حكومة تسيير الأعمال وزيرًا للدفاع حتى الآن، فإن مصيرهم لا يزال غامضًا.

لا مواعيد للعودة

يعمل غسان (34) مهندسًا إلكترونيًا في المركز الإذاعي بمدينة حلب منذ تخرجه في الجامعة، لكنه أيضًا وجد نفسه خارج وظيفته، بعد أن تم تعليق العمل في المركز منذ سقوط النظام، في 8 من كانون الأول الحالي.

وقال غسان، إن كل ما تم إبلاغهم به هو تعليق العمل في المركز خلال المرحلة الحالية، دون تحديد موعد لعودتهم إلى مواقعهم الوظيفية، مشيرًا إلى أنه لا يعرف بدقة ما إذا كان سيعود لعمله أم لا، بينما يعتمد في الوقت الحالي على عمله في "الهلال الأحمر" لتأمين المصاريف المعيشية لأسرته.

في المقابل، بدا لافتًا أن حكومة البشير سارعت منذ تولّيها مهامها إلى إعادة الدوام للمدارس والجامعات، وتم صرف رواتب المدرّسين عن تشرين الثاني الماضي، لكنها لم تعمّم التجربة على بقية القطاعات، إذ لا تزال العديد من المؤسسات العامة بحالة انتظار لتقرير مصيرها، ومستقبل العاملين فيها.

وكان قائد "إدارة العمليات العسكرية، أحمد الشرع (أبو محمد الجولاني)، تحدث عن دراسة لرفع الرواتب بنسبة 400%، كما أكد وزير الصحة في حكومة تسيير الأعمال ماهر الشرع أن هناك خطة لزيادة رواتب العاملين في القطاع الصحي بنسبة 400% اعتبارًا من الشهر الحالي أو المقبل.

وفي أول تصريح للبشير بعد تولّيه رئاسة حكومة تسيير الأعمال، قال إن القيادة العامة كلّفته بتسيير أعمال الحكومة السورية خلال فترة انتقالية، حتى آذار 2025، بهدف تسلّم الملفات والمؤسسات الحكومية، وضمان عودة العاملين إليها وتفعيل دورها بما يسهم في تقديم الخدمات للمواطنين.

بعض المؤسسات لم تصرف رواتب لموظفيها بمدينة حلب – 15 كانون الأول 2024 (عنب بلدي/ وليد الإدلبي)

مركز بلا كوادر

درعا.. أم ولد تعاني نقص الخدمات الطبية

درعا – حليم محمد

اشتكي عدد من سكان بلدة أم ولد، أقصى ريف درعا الشرقي، من نقص الخدمات الطبية والصحية في البلدة.
ورغم وجود مركز صحي مجهز بعيادات وأجهزة وصيدلية، لا تكفي خدماته سكان المنطقة لأسباب عديدة، أبرزها عدم وجود كادر طبي قائم في العمل عليه.
كما يشكّل عدم فعالية المركز عبئًا ماليًا على السكان، إذ يضطر المرضى للذهاب إلى القرى المجاورة أو إلى مدينة درعا التي تبعد 45 كيلومترًا عن البلدة أو إلى مدينة السويداء التي تبعد 20 كيلومترًا، وتصل أجور النقل أحيانًا إلى ما يقارب 400 ألف ليرة سورية.

نقص الكادر

تشرف ممرضة وقابلة قانونية على عمل المركز الصحي في بلدة أم ولد، الأمر الذي حوّله إلى نقطة طبية لتقديم اللقاحات فقط.
المرضة وفاء الرفاعي، العاملة في المركز، قالت لعنب بلدي، إن نقص الكادر الطبي يعوق عمل المركز لأنه بحاجة إلى طبيب عام وطبيب أسنان وممرض وصيدلاني ومستخدم.
وأضافت أن عمل المركز حاليًا يقتصر على تقديم خدمات مجانية للسكان، مثل اللقاح الروتيني للأطفال، إضافة إلى برنامج الصحة الإنجابية ورعاية المسنين والتثقيف الصحي.
المرضة لفتت إلى أن من الممكن أن يشمل عمل المركز المعاينات والعلاج، ولكن نقص الكادر يحرم السكان هذه الخدمة.
فؤاد الرفاعي، هو الطبيب الوحيد في البلدة، ولديه عيادة خاصة، قال لعنب بلدي، إن حال مركز أم ولد الصحي يشبه معظم المراكز الصحية في المحافظة، فهي مشكلة عامة، لكنها أكثر صعوبة لسكان البلدة بسبب بعدها عن المراكز الصحية الأخرى، ما يشغل غياب بدائل منطقية للسكان.
وترتفع أجور النقل بحسب بُعد النقطة الطبية عن البلدة، علمًا أن الذهاب إلى محافظة السويداء سابقًا كان مكلفًا، وتحيط به مخاطر أمنية أبرزها عمليات الخطف على الطريق الواصل بين درعا والسويداء، وفق الطبيب.
وتقع أم ولد على الحدود الإدارية لمحافظة السويداء، وهي آخر قرية في درعا من جهة الشرق.
الطبيب ذكر لعنب بلدي أن من الممكن حل الإشكالية عبر إيفاد طبيب عام وطبيب أسنان للعمل في البلدة، وهذا يقع على عاتق الإدارة الجديدة للبلاد.
وقال إن معظم الأطباء هاجروا خلال السنوات الماضية بحثًا عن فرص أفضل، وبعضهم الآخر من أصحاب الخبرات متعاقد مع مستشفيات خاصة بسبب تدني أجور الوظائف العامة التي تدفع الأطباء للبحث عن بدائل.

الأجور عامل مرهق

دفع أحد أقارب محمد الرفاعي 400 ألف ليرة سورية (26 دولارًا) أجور نقله إلى مستشفى درعا في حالة إسعاف.
وقال الطبيب الرفاعي، إن عدم وجود كادر طبي في المركز الصحي يعطل عمله ويحوله إلى مركز وظيفي روتيني فاقد للخدمات الطبية.
وأضاف، "نناشد الحكومة الجديدة لدعم المركز بكادر طبي وسيارة إسعاف وأدوية للصيدلة الفارغة فيه".
من جانبه، قال مختار القرية هلال الرفاعي لعنب بلدي، إن المركز الصحي مجهز بالكامل لكنه يفتقر لكادر العمل المتخصص.
وأضاف أن نقل المريض يحتاج في معظم الأحيان إلى سيارة خاصة، وهذا مكلف للسكان في ظل الأوضاع الاقتصادية المتردية.
يبلغ عدد سكان بلدة أم ولد حاليًا 5000 نسمة، وهاجر معظم سكان البلدة منها منذ سنوات، إذ كان يقدّر عدد سكانها سابقًا بـ15 ألف نسمة.
مدير التجارة الداخلية وحماية المستهلك في محافظة درعا، عادل صياصنة، قال لعنب بلدي، إن مسألة شح المحروقات التي تشكّل عائقًا أساسيًا في عمل معظم القطاعات مرتبطة بتوريدات المادة من محافظة حمص.
يبلغ عدد المستشفيات العامة في محافظة درعا سبعة مستشفيات، والخاصة 13 مستشفى، وتفتقر المستشفيات الحكومية للدعم، وتعاني من نقص في الكادر الطبي، خاصة بعد هجرة معظم الأطباء، وتعاقد بعضها مع المستشفيات الخاصة، ما يدفع بعض السكان للذهاب مباشرة إلى المستشفيات الخاصة، لتوفر المعدات والكوادر فيها.

مدخل مركز الرعاية الصحية في ام ولد في ريف درعا الشرقي- 20 من كانون الأول 2024 (عنب بلدي/ حليم محمد)

تسهيلات وزيادة بعدد المتاجر

أسواق المستعمل تنشط في رأس العين

عنب بلدي – رأس العين

يعد شراء الأدوات المستعملة خيارًا رئيسًا لعائلات كثيرة في مدينة رأس العين شمال غربي الحسكة، والتي تسعى لتلبية احتياجاتها بأقل التكاليف الممكنة.
لا يقتصر الأمر على الملابس المستعملة (البالة) التي تلقى إقبالًا خلال الشتاء، إنما تنتشر أسواق بيع الأدوات المنزلية بكثرة في المدينة التي تضم 115 ألف نسمة .
بحسب رصد عنب بلدي، يبلغ سعر البنطال 70 ألف ليرة سورية (4.5 دولار أمريكي)، والكنزة 60 ألف ليرة، بينما تتجاوز أسعار الجديد منها 200 ألف ليرة.
أما الثلاجة المستعملة بحالة متوسطة، فيبلغ سعرها 1.5 مليون ليرة سورية، مقارنة بالجديدة التي تصل إلى 9.5 مليون ليرة.
وتبدأ أسعار الأدوات المنزلية المستعملة، مثل الصحون والطناجر، من 5000 ليرة وتصل إلى 50 ألف ليرة كحد أقصى، (يعادل الدولار الواحد 15500 ليرة سورية).

مقصد أصحاب الدخل المحدود

تتجول فريدة المراد (35 عامًا) بين ألبسة "البالة" في سوق رأس العين، بحثًا عن ملابس شتوية ذات جودة جيدة لأطفالها الثلاثة.
تعمل السيدة في مشغل خياطة بأجر شهري يبلغ مليون ليرة سورية (ما يعادل 66 دولارًا أمريكيًا)، وهو كما قالت لا يكفي لشراء الملابس الجديدة بسبب ارتفاع أسعارها.
وذكرت أنها أصبحت تفضل شراء المستعمل، حتى بالنسبة للأدوات، نظرًا إلى النوعية الجيدة والأسعار المقبولة التي توفرها الأسواق مقارنة بالجديد.
بعد تعطل ثلاجته، بدا إسماعيل الجراف (54 عامًا) في حيرة من أمره حول كيفية شراء ثلاجة جديدة، خاصة مع الارتفاع الكبير في أسعار الأجهزة الجديدة.
وجد إسماعيل ضالته، حين عثر على ثلاجة مستعملة في إحدى مجموعات "واتساب" بسعر مليون ليرة وبحالة مقبولة، فاختار شراءها فورًا.
تعد الأسعار "مقبولة" وفق عائلات قابلتها عنب بلدي، إذ تتراوح أجور العمال بين 80 ألفًا و100 ألف ليرة سورية يوميًا (حوالي 6.5 دولار أمريكي).

عدد محال مضاعف

وفق رصد مراسل عنب بلدي، شهدت أسعار المستعمل انخفاضًا بنسبة 40% مقارنة بعام 2023، نتيجة الزيادة في عدد المحال التي تبيع المستعمل وألبسة "البالة"، إذ ارتفع العدد من 8 إلى 40 محلًا .
ماجد الحسن، صاحب محل لتجارة المستعمل، قال لعنب بلدي، إن الإقبال الكبير على المستعمل في رأس العين يعود إلى ضعف القدرة المادية لدى السكان.
وأوضح أن المنافسة بين المحال التجارية وزيادة عددها أدت إلى انخفاض ملحوظ في الأسعار، خصوصًا في مجال الملابس.
وأضاف أن المبيعات شهدت تحسنًا هذا العام بنسبة 50% مقارنة بعام 2023، بسبب انخفاض السعر.

المجلس المحلي: نقدم تسهيلات

المتحدث باسم المجلس المحلي، زياد ملكي، قال لعنب بلدي، إن المجلس قدم منذ منتصف عام 2023 وحتى كانون الأول الحالي تسهيلات عديدة للتجار في رأس العين، منها تخفيض الرسوم السنوية على محال الألبسة المستعملة من 170 ألفًا إلى 85 ألف ليرة سورية (تدفع الرسوم بالليرة التركية وتعادل 200 ليرة تركية).
وأوضح أن عدد التجار الذين حصلوا على إذن تجاري لدخول تركيا ارتفع منذ منتصف 2023 من 75 إلى 150 تاجرًا، من بينهم سيدتان.
وأضاف أن هذه الإجراءات تهدف إلى تخفيف الاحتكار في السوق، خاصة في تجارة المستعمل، حيث ارتفع عدد تجار المستعمل من 6 إلى 34 شخصًا.
وذكر أن المجلس ملتزم بتقديم المزيد من التسهيلات خلال الفترة المقبلة، لدعم التجارة والنشاط الاقتصادي في المنطقة .
وتشهد الليرة السورية، العملة المتداولة في المنطقة، تذبذبًا في الأسعار، وتعد الليرة التركية العملة الثانية (غير متداولة بكثرة) بسبب متاخمة المدينة الحدود التركية، والثالثة هي الدولار الأمريكي.
وخلال الأسبوع الأول من كانون الأول الحالي، رفض تجار التعامل بالليرة السورية في رأس العين، بسبب انخفاض قيمتها، وصاروا يحسبون سعر الصرف بفارق أكبر من المحدد، تجنبًا للخسارة.

أهالٍ في رأس العين يفضلون الأدوات المستعملة نظرًا إلى انخفاض أسعارها- 13 كانون الأول 2024 (عنب بلدي)

إجراءات اقتصادية يجب أن تسبق تغيير العملة السورية

عنب بلدي – جنى العيسى

مع هروب رئيس النظام السابق، بشار الأسد، فجر 8 من كانون الأول الحالي، بدأت مرحلة تغيير كبيرة ستشهدها سوريا، منها ما يتعلق بالمؤسسات والقرارات وغيرها.

احتمال التغيير قد يشمل تغيير طبعة العملة السورية التي تشمل بجميع فئاتها صورًا للأسد، إلا أن هذا التغيير في الوقت الحالي قد يصطدم بمعوقات عديدة منها تقنية، أبرزها نقدية، لما قد يحمل ذلك من آثار على الاقتصاد المنهك بالأساس.

تحاول عنب بلدي في هذا التقرير استطلاع آراء خبراء اقتصاديين حول الإمكانيات الاقتصادية والتقنية لتغيير شكل العملة السورية، بعد سقوط النظام، وأثر ذلك على الاقتصاد في ظل الظروف الحالية، مع الإشارة إلى عدة توصيات يجب اتباعها في حال اتخاذ القرار لضمان عدم تأثر الاقتصاد بشكل كبير.

قرار سيادي

مدير البرنامج السوري في "مرصد الشبكات السياسية والاقتصادية" والدكتور في الاقتصاد، كرم شعار، قال إن قرار تغيير طبعة العملة السورية يعد قرارًا سياديًا 100%، ويأتي بأمر من المصرف المركزي الذي تسيطر عليه حكومة تسيير الأعمال حاليًا، وفيه العديد من التصورات المغلوطة في هذا السياق.

وأوضح شعار، في حديث إلى عنب بلدي، أن من بين تلك التصورات أنه في حال رغبة الدولة بتغيير العملة يجب أن يكون لديها غطاء من العملة الأجنبية والذهب، مضيفًا أن هذا الأمر انتهى في كل دول العالم منذ سبعينيات القرن الماضي.

كما توجد لدى البعض قناعات بأن طباعة العملة يجب أن تكون بدور من صندوق النقد الدولي أو البنك الدولي، الأمر الذي لا يعتبر صحيحًا، لأنه قرار سيادي، وفق شعار.

وأكد الدكتور في الاقتصاد أنه في حال اتخاذ القرار بتغيير طبعة العملة يجب فقط طباعة النقد بطريقة تطابق المواصفات العالمية بحيث لا يمكن تزويرها بسهولة، موضحًا أنه لا توجد مؤسسة دولية تتحقق من الطبعات ومدى مطابقتها للمواصفات، إنما هو أمر عائد للدولة بذاتها.

شعار أشار إلى أن القرار حاليًا بيد حكومة تسيير الأعمال، معتبرًا أن القرار الأكثر إلحاحًا في هذه المرحلة هو منع تداول العملات الأجنبية كالليرة التركية، والاعتماد بشكل رئيس على الليرة السورية في التداولات في عموم البلاد.

سيؤدي اعتماد الليرة، وفق الباحث، إلى تحسين ثبات قيمة الليرة السورية أمام العملات الأجنبية، إذ يعد وجود عدة عملات بمناطق مختلفة مدعاة للتشويش والهدر.

معوقات بالجملة

الأكاديمية والباحثة الاقتصادية رشا سيروب، أشارت إلى عدة معوقات كبيرة تعترض عملية تغيير العملة أو استبدالها.

وأوضحت الدكتورة في الاقتصاد رشا سيروب، في حديث إلى عنب بلدي، أنه فضلًا عن تعقد ظروف الفترة الانتقالية الحالية غير الواضحة المعالم، وفي ظل استمرار العقوبات الدولية على سوريا، فإن خطوات تغيير العملة أو استبدالها تعترضها معوقات كبيرة.

تتمثل التحديات بمعرفة حجم السيولة المحلية والاحتياطيات الدولية، وفق سيروب، مشيرة إلى أنه طوال سنوات كانت السياسة النقدية مقسمة بين مناطق السيطرة، ما انعكس على تشتت جميع المناطق السورية مع الاختلاف النسبي بينها، وهو أن أغلبية السيولة النقدية هي خارج الجهاز المصرفي، وهو ما يفقد قدرة أي حكومة على ضبطها.

إجراءات اقتصادية مطلوبة

الأكاديمية رشا سيروب، أكدت أن قرار تغيير العملة ليس مجرد إجراء تقني، بل هو قرار استراتيجي يتطلب تخطيطًا دقيقًا من ضمن مجموعة من الإجراءات الاقتصادية المقترحة لضمان عدم تأثر الاقتصاد بشكل كبير.

قد يؤدي قرار تغيير العملة، وفق سيروب، إلى مزيد من التضخم والتراجع في النمو الاقتصادي الحقيقي، لذلك لا يجب أن يتم التغيير كإجراء منفصل ومستقل عن حزم إصلاحية واسعة في السياسة النقدية بحيث تتم إعادة هيكلة البنوك وتوحيد عملها على جميع الأراضي السورية وتطوير أدوات السياسة النقدية، وتعزيز الرقابة على النظام المصرفي، وإصلاح مالي يرتكز بشكل رئيس على توجيه الإنفاق العام نحو الاستثمارات الإنتاجية، وإصلاح هيكلي للاقتصاد يقوم على تشجيع الاستثمار وتنويع القاعدة الاقتصادية والحد من الاعتماد على الاستيراد.

وترى الباحثة أن من الضروري أيضًا القيام بإجراءين منفصلين سيساعدان بتحقيق جدوى مقبولة نسبيًا من اتخاذ القرار بتغيير العملة، معتبرة أنه دون وضع سياسة اقتصادية هدفها تعزيز الإنتاجية واستثمار الموارد وإدارة العوائد بكفاءة وفاعلية فإن عملية التغيير لن تسهم في تصويب مسار الاقتصاد، بل على العكس تمامًا، قد يكون لاتخاذ القرار بالتغيير انعكاسات اقتصادية أخطر مما كانت عليه سابقًا.

يتمثل الإجراء الأول بالعمل على توفير السيولة النقدية وهو ما يُضعف القدرة على التنبؤ بحجم السيولة المحلية والاحتياطيات الدولية في الوقت الراهن، خاصة أن مصرف سوريا المركزي منذ بدء الصراع لم ينشر أو يُعلن عن البيانات النقدية المختلفة ومنها "M1 وM2" والقاعدة النقدية، ولا يعرف مقدار الاحتياطيات التي تحت تصرفه.

كما لا توجد تقديرات للسيولة الدولارية والعملات الصعبة التي كانت تحت تصرف حكومة "الإنقاذ"، وعلى وجه الخصوص الليرة التركية إلى جانب الدولار، وهما العملتان اللتان كانتا مستخدمتين في التعاملات المالية بشمال غربي سوريا.

وينطبق الأمر كذلك على السيولة الدولارية لدى مكتب النقد والمدفوعات المركزي في مناطق سيطرة "الإدارة الذاتية" بشمال شرقي سوريا.

يتمثل التحدي الثاني، وفق الباحثة، بتدهور الواقع الاقتصادي في احتياطيات كافية من النقد الأجنبي، وهو ما يتطلب تفعيل الدبلوماسية الاقتصادية والعمل بشكل حثيث على رفع العقوبات الدولية، كي يتمكن الاقتصاد السوري من جذب الاستثمارات الأجنبية والحصول على القروض بشروط ميسرة من المؤسسات الدولية والدول الداعمة لسوريا في حكومتها الجديدة.

وكذلك ضمان سيطرة الدولة على مواردها الاقتصادية على كامل الأراضي السورية، وعلى وجه الخصوص الموارد النفطية التي تعد المصدر الرئيس للقطع الأجنبي.

خطوة محفوفة بالمخاطر

قد يساعد تغيير العملة أو استبدالها في معالجة مشكلة شح السيولة النقدية على المدى المنظور، بحسب ما أوضحته الدكتورة رشا سيروب، لكن على المدى المتوسط والطويل سيؤدي قرار كهذا إلى مزيد من عدم الاستقرار النقدي الذي يتطلب درجة من الاستقرار المالي تستند إلى سياسات مالية سليمة يتم تنفيذها على التوازي (إن لم تكن سابقة) مع هذا القرار، فالافتقار إلى السياسات الداعمة الكافية ستؤدي حكمًا إلى خسارة العملة الجديدة مصداقيتها، التي قد يكون من الصعب والمكلف جدًا استعادتها في مرحلة لاحقة.

لذا فإن تغيير العملة قبل ضمان الاستقرار السياسي ورفع العقوبات الدولية عن سوريا يعد خطوة محفوفة بالأخطار، بحسب سيروب، معتبرة أن الإقدام عليها من دون تغطية مالية كافية يؤدي إلى التضخم الجامح وتراجع قيمة العملة بشكل سريع، ما قد يفاقم الأزمة الاقتصادية الحادة أصلًا.

كما تؤدي هذه الإجراءات إلى زيادة الكتلة النقدية في الاقتصاد من دون دعم حقيقي من الإنتاج أو التصدير، ما قد يعزز فوضى السوق النقدية ويزيد الطلب على العملات الأجنبية.

تعبيرية / عملات ورقية سورية (عنب بلدي/ عبد المعين حمص)

دولار أمريكي ▲ مبيع 14750	شراء 14450	يورو ▼ مبيع 15388	شراء 15070
ليرة تركية ▼ مبيع 419	شراء 470		

احتياطيات المركزي تتبدد

كيف تعوض الحكومة السورية القطع الأجنبي؟

يجرد المصرف المركزي السوري السندات والاحتياطات المتوافرة لديه بعد سقوط نظام الأسد – 11 كانون الأول 2024 (عنب بلدي/ أحمد أوتاني)

عنب بلدي – جنى العيسى

أدى وقف العمل بمجموعة من القرارات التي كان يُعمل بها قبل هروب رئيس النظام المخلوع، بشار الأسد، في 8 من كانون الأول الحالي، إلى وقف معظم مصادر القطع الأجنبي الواردة إلى خزينة سوريا.

وفي ظل أرقام غير دقيقة تتصدّر حول حجم الاحتياطي أو ما يتوفر في الخزينة من أموال أجنبية، تثار التساؤلات حول مدى قدرة حكومة تسيير الأعمال على تأمين حاجة سوريا من القطع الأجنبي، بما لا يدخلها بأزمة مالية تضاف إلى مجموعة الأزمات الاقتصادية التي تعانيها.

مصادر تتبدد

عملت حكومة النظام السابق على تأمين القطع الأجنبي من عدة مصادر، أبرزها القرار الذي كان يجبر السوريين ومن في حكمهم الداخلين إلى سوريا على تصريف 100 دولار عند دخولهم الأراضي السورية عبر المعابر الحدودية والجوية.

كما كانت ترفد الخزينة بأموال "البدل العسكري" التي كانت تفرضها على الشباب الواجب التحاقهم بالجيش، فضلًا عن إجبار التجار على تحويل أموالهم وتجميدها لدى مصرف سوريا المركزي التزامًا بآلية اشتكى منها التجار كثيرًا تدعى "منصة تمويل المستوردات".

وتعد الأموال الواردة من المعاملات التي يجريها السوريون في وزارة الخارجية والقنصليات التابعة لها، كتصديق الأوراق واستخراج أو تجديد جوازات السفر، مصدرًا أوليًا للقطع الأجنبي، إلا أن هذه المعاملات متوقفة منذ هروب الأسد، دون إعلان موعد محدد لعودتها.

تضارب أرقام.. كم دولارًا لدينا؟

لا تزال الحكومة السورية تجري عمليات جرد وجمع للبيانات، وسط تضارب حول ما يملكه "المركزي السوري" من قطع أجنبي، رغم الاتفاق على تراجع احتياطي النقد الأجنبي إلى الصفر تقريبًا.

وفي 11 من كانون الأول الحالي، وعقب يوم واحد على تسلمه مهامه بشكل رسمي، قال رئيس حكومة تسيير الأعمال في سوريا، محمد البشير، إنه لا توجد في خزائن البنك المركزي سوى الليرة السورية "التي لا تساوي شيئًا"، موضحًا أن مصرف سوريا المركزي لا يحتوي على احتياطيات نقدية أجنبية.

وأضاف البشير في حديث لصحيفة "إل كوريير ديلا سيرا" الإيطالية، "ليست لدينا أي عملة أجنبية، أما فيما يتعلق بالقروض والسندات فنحن ما زلنا نجمع البيانات. لذا نعم نحن في وضع مالي سيئ للغاية".

حديث البشير لا يتوافق مع ما نقلته وكالة "رويترز" عن أربعة مصادر وصفتها بأنها "مطلعة على الوضع" لم تسمّها، قالت إن مصرف سوريا المركزي لا يزال يحتفظ بـ26 طنًا من الذهب في خزائنه، وهي الكمية نفسها التي كانت لدى المصرف قبل انطلاق الثورة السورية في آذار 2011.

لكن مصادر "رويترز" أكدت أن المصرف لا يملك سوى كمية قليلة من احتياطيات النقد الأجنبي تبلغ 200 مليون دولار، بينما قال أحد المصادر إن المبلغ يصل إلى مئات الملايين، بحسب الوكالة.

حكومة النظام السابق توقفت عن تبادل المعلومات المالية مع صندوق النقد الدولي والبنك الدولي وغيرهما من المنظمات الدولية، بعد وقت قصير من عمليات قمع الأسد للمظاهرات السلمية.

ولم تحصل "رويترز" على تعليق حول الاحتياطيات من حكومة تسيير الأعمال وإدارة المركزي السوري.

وأشارت "رويترز" إلى أن عمليات السرقة التي طالت المركزي عقب سقوط نظام بشار الأسد، في 8 من كانون الأول الحالي، لم تطل الخزنة الرئيسة، فهي مقاومة للقنابل وتتطلب ثلاثة مفاتيح، يحمل كلًا منها شخص مختلف، وتتطلب رمزًا مركبًا لفتحها.

احتياطي بالمليارات يختفي

قبل عام 2011، كان احتياطي الدولار والعملات الأجنبية والذهب في سوريا بأحسن حالاته.

بحسب إحصائيات صادرة عن البنك الاحتياطي الفيدرالي في سانت لويس، كانت أرقام احتياطي الدولار لدى مصرف سوريا المركزي في 2004 تصل إلى 5.6 مليار دولار، فيما وصلت قيمة الاحتياطي في عام 2010 إلى 18.5 مليار دولار.

بينما بلغت قيمة احتياطي الذهب عام 2004 لدى مصرف سوريا المركزي 25.9 طن، و25.8 طن في عام 2011، بحسب إحصائيات مجلس الذهب العالمي.

الاحتياطي النقدي هو الأصول المالية التي يحتفظ بها المصرف المركزي لدعم استقرار العملة الوطنية، وضمان سداد الالتزامات الدولية، وتوفير السيولة في حالات الأزمات الاقتصادية، ويتكون عادة من عدة عناصر رئيسة هي العملات الأجنبية، والذهب، وحقوق السحب الخاصة، والأصول الأجنبية الأخرى، والاحتياطي النقدي المحلي، والاستثمارات الأجنبية المباشرة وغير المباشرة.

إيداعات أجنبية وحقول النفط

الأستاذ في كلية الاقتصاد بجامعة "دمشق" الدكتور سليمان موصلّي، يعتقد فيما يتعلق ببدائل مصادر القطع الأجنبي، أن إيداعات الدول الداعمة لمبالغ بالقطع الأجنبي في الوقت الحالي أمر حاسم من الناحية الاقتصادية والنفسية.

يبقى الأمر رهن استعادة حقول النفط وعندها تنخفض الحاجة إلى القطع لتمويل واردات البترول، كما أن تحويلات المغتربين ستسهم في زيادة العرض من القطع الأجنبي، كما ستسهم في المرحلة المقبلة رسوم العبور (الترانزيت) في تأمين بعض الموارد، بحسب ما يرى موصلّي في حديث إلى عنب بلدي.

الدكتور في الاقتصاد أشار إلى أن سوريا تحولت بين يوم وليلة من اقتصاد القلة إلى اقتصاد السوق، موضحًا أن هذا التحول يجب أن ترافقه إجراءات تدريجية ومناسبة حتى يستعيد السوق توازنه.

وأوضح موصلّي أن من بين تلك الإجراءات عدم زيادة الرواتب بنسبة 300% دفعة واحدة بل بشكل تدريجي مثلًا 100% كل عام، وعدم السماح باستيراد السيارات في هذه المرحلة لأن ذلك يستنزف القطع الأجنبي المحدود أصلًا.

كما يجب فرض رسوم جمركية بشكل انتقائي على السلع الكمالية، وإطلاق حملات لجذب الاستثمارات الأجنبية بصيغة الشركات المساهمة وفق ما يرى الدكتور في الاقتصاد.

موارد غير كافية

الباحث المساعد في مركز "جسور للدراسات" المختص بالشؤون الاقتصادية عبد العظيم المغربل، قال لعنب بلدي، إن أبرز المصادر البديلة للقطع الأجنبي في الوقت الراهن ستتكون من التحويلات الخارجية، والصادرات المحدودة لبعض المنتجات الزراعية والصناعية، وعوائد المعابر والموانئ، وبعض الدعم الخارجي، وهذه المصادر غير كافية لتلبية احتياجات خزينة الدولة بسبب ضعف استدامتها وتأثير العقوبات المستمرة.

وأكد المغربل أن غياب القطع الأجنبي بشكل كافٍ يؤدي إلى عدم استقرار الليرة السورية، وتفاقم التضخم، وضعف الإنتاج المحلي، وبالتالي استمرار الأزمة المعيشية والاقتصادية.

الشفافية تعزز المساعدة

وسط غياب الأرقام الصحيحة والإحصائيات الدورية حول ما تحتويه خزينة الدولة من أموال قال الباحث الاقتصادي والأستاذ الجامعي الدكتور مخلص الناظر، إنه يجب على المصرف المركزي السوري أن يعلن عن ميزانيته العمومية أسبوعيًا كما تفعل البنوك المركزية في الدول المتقدمة.

ويشجع ذلك المستثمرين على الاستثمار في الاقتصاد السوري الجديد من خلال الثقة والشفافية، ويوفر معلومات دائمة لأصحاب الخبرة من أجل تقديم المساعدة.

الميزانية العمومية للمصرف المركزي هي تقرير مالي يظهر المركز المالي للمصرف المركزي في وقت معين، بحسب ما ذكره الناظر، عبر "فيس بوك"، وتوضح هذه الميزانية أهم موارد المصرف والتزاماته.

وتلعب الميزانية العمومية دورًا مهمًا في فهم سياسات المصرف المركزي، خصوصًا فيما يتعلق بالسياسات النقدية وإدارة الاقتصاد.

هل كسب الشرع معركة الصحافة

علي عيد

لاحظ كثيرون خطين متناقضين تمامًا في المسألة الإعلامية المتعلقة بصورة "القيادة العامة" وسياستها وتوجهاتها المستقبلية، وصورة قائدها العام، أحمد الشرع، إذ استطاع العهد الجديد حجز مساحة إيجابية على مستوى الإعلام العربي والغربي، لكنه، ربما، لم ينتبه إلى أن الإعلام المحلي ما زال بلا ملامح، ما تسبب بسيل من الأخبار المضللة داخليًا.

الارتباك في الإعلام المحلي ستكون له آثاره الخطيرة، إذ يرتبط الإعلام الخارجي بسياسات وتوجهات الجهات التي يمثلها، ما يعني أن الاستقرار الإيجابي حيال ما قامت به السلطة الجديدة مرهون باستجابتها لمتطلبات غير محلية، وبعد حين سيجد ملايين السوريين أنهم يأكلون التراب، أو يسيرون وفق متطلبات خارجية، في حين أن همومهم الأساسية في غير مكان.

يُعرف الإعلام على أنه وسيط الدولة والجمهور معًا، إذ توصل مؤسسات الدولة رسالتها عبره، فيما يصل صوت الجمهور إلى تلك المؤسسات، وكأنه رجع صدى متبادل، هذا إذا تحدثنا عن مهمة الإعلام الحقيقية.

وحتى اللحظة، لا يتوفر الوسيط المحلي، ويقتصر التزويد على أدوات بسيطة أو حماسية، منها المؤثرون، لتمرير رسائل طمأنة، أو إعطاء انطباع عام عن استقرار وازدهار منتظَر، وهذا كله لا يتعدى الآمال ولا يقوم على تدقيق واقعي يدفع بصانعي القرار نحو الأمام.

تصف دراسة عن باحثين في جامعة "جلاسكو" البريطانية، "دور وسائل الإعلام في بناء المعتقد العام والتغيير الاجتماعي" بأنه "عملية تفاوض معقدة"، قد تنتهي إلى الالتزام السلوكي أو قد تمنع ذلك.

وتشير الدراسة إلى أن وسائل الإعلام هي في جوهرها مساحة متنازع عليها، يمكن فيها للمجموعات الأقوى تأسيس هيمنة رسائل محددة. ولكن تعقيد عملية الاستقبال يخلق بعد ذلك إمكانية حدوث اختلافات في المواقف والاستجابة السلوكية (Attitudinal and be-havioural response).

على المستوى الداخلي، من المبكر جدًا الحكم على كسب المعركة، وإن كان الوضع إيجابيًا حتى اللحظة، لكن المؤكد أن الشرع يغرد منفردًا بإمكانيات شخصية و"كاريزما" فريدة، مدعومًا برغبة داخلية ودولية في ترسيخ أمن واستقرار سوريا في هذه المرحلة.

يصف بعض المراقبين ما يحصل بأنه حالة فريدة لم يعتدها تاريخ الثورات أو الانقلابات، وخصوصًا عندما يتعلق الأمر بنماذج قوى بخلفية إسلامية، فما يقدمه الشرع عبر الإعلام، وهو مقدمة ذكيّة، يختلف عما حصل في مصر "الإخوان المسلمين" وأفغانستان "طالبان" أو غيرهما من النماذج.

تلك الحالة الفريدة تطمئن إلى قبول مجتمعي، لكنها ليست مؤشرًا على استقرار مستدام، ويبقى التأكيد على أن بعض الإجراءات على الأرض مع كثير الترويج الإعلامي، غير المحلي، أو عبر وسائل التواصل، أسهم في قبول واسع للتجربة، وفي أي لحظة يمكن أن تتغير الصورة، عندما يتحول التقييم من الانفعال إلى تحديات الغد، وعامل الفصل في كل هذا ليس الإعلام بحدّ ذاته، وإنما اقتناع أي سلطة بأنه القناة الأهم لمعرفة ما يحصل وما ينبغي أن تقوم به من أجل بناء الدولة وترسيخ السلام.

هل انتهى الأمر، بالطبع لا، لقد بدأ للتو.

فمشكلة الإعلام المحلي الموجه للداخل والخارج هي تحدٍّ كبير، إذ لا تملك "القيادة العامة" خبرات مهنية، لكنها تملك تكتيكًا ذكيًا في تهدئة المرحلة، وهذا يعني أن استحقاق بناء المؤسسات الإعلامية غير ممكن دون الاستعانة بالخبرات، والبدء بها من نقطة الصفر.

يتطلب بناء الإعلام طرفين اثنين، الأول الصحفيون ومديرو وسائل الإعلام المتمرسون، والثاني هو القوانين المتعلقة بتسهيل العمل وترسيخ حرية الصحافة وفهم أي نوع من الصحافة العصرية تحتاج إليه البلاد.

كلما تأخر بناء صحافة البلد، صعبت المهمة، وفقدت السلطة القائمة واحدة من أهم أدوات فهم الواقع وسماع الناس وإسماعهم، وكذلك الاستقرار وترسيخ الوعي.

فيما يخص الكوادر السورية، هناك صحفيون متعجلون لأخذ الدور، بينهم من يحاول تقديم أوراق اعتماده للمشاركة في قيادة المرحلة أو حجز مكانه في المستقبل، وبينهم القلقون على موارد عيشهم ممن كانوا يعملون في المؤسسات بعهد النظام، وحقهم أن يؤمّنوا على مواردهم، بمن فيهم الانتهازيون.

كمان أن هناك صحفيين يتابعون مهمتهم، عبر وسائل إعلام المنفى، وهم في الغالب لم يتأثروا بتجميد عمل المؤسسات، لكنهم يحاولون التكيف مع متطلبات هائلة في الرسالة والأداء، فرضها التغيير.

هل ربح الشرع معركة الصحافة. نعم ربحها كأحمد الشرع، لكن بالنسبة للمهمة الأصعب، وهي دور الصحافة على المستوى المجتمعي، هناك طريق يمكن أن تفقده البلاد إن لم تبدأ الخطوة الأولى.. وللحديث بقية.

لقاح ضد الاستبداد

غزوان قرنفل

أزعم أن السوريين خلال العقد الأخير، بكل ما حفل به من قهر وتشرد واستباحة، وبعد أن منّ الله عليهم في ذروة المشهد الصعب بهزيمة أعتى نظم الإجرام والاستبداد وإسقاطه، قد اكتسبوا مناعة قوية ضد الاستبداد، حتى صار جسد المجتمع السوري قادرًا على فرز إنزيمات الحرية التي لم يعد ممكنًا لأي سلطة جديدة أن تستبيحها أو تجهض مسارها.

دون شك، لا يمكن القول إن الديمقراطية والحريات العامة تكرست حقًا، لكنها صارت أقرب منالًا، وصارت الفرصة للتأسيس لعملية تحول ديمقراطي ممكنة، إن أُخلصت النيات لدى جميع أطياف الشعب السوري.

السوريون واجهوا خلال العقد الماضي حالة ولادة عسيرة أنهكتهم وأنهكت بلادهم، حتى تمكنوا من العبور اليوم للمرة الأولى منذ أكثر من نصف قرن إلى ضفة الحرية التي تتطلب عملية ترسيخها، كقيمة عليا في المجتمع والفضاء العام والسياسة والعمل المدني، جهودًا كبيرة جدًا حتى يستخلصوا لقاحهم المديد ضد أي شكل من أشكال الاستبداد وأي سلوك يمكن أن يؤشر لعودة الدولة البوليسية.

أول مكونات هذا اللقاح هو أن ندرك جميعًا أن الحقيقة ليست دائمًا على الجانب الذي نقف فيه بالضرورة، فلا أحد يملك الحق بمفرده في إعادة تشكيل الدولة والسلطة كيفما يرى ويعتقد، حتى لو كان يمثل أغلبية عددية، بل ثمة دائمًا قواسم مشتركة وقيم عليا متوافق عليها بين السوريين، وهناك أيضًا توافقات وطنية ممكنة بينهم يمكن لها وحدها أن تصلح لتكون أرضية لبناء وطن نشترك به جميعًا في حقوق المواطنة. والمواطنة تقتضي أن يكون لي تمامًا مثل ما هو لك من حقوق، وعليّ مثل الذي عليك من واجبات والتزامات، وعليه فالدستور هنا يتعين عليه أن يتيح لي من الحقوق ما يتيح لك وله ولها، ولا يجوز بحال أن تتفرد أنت بحق أو حقوق لا أملك أنا أو هو أو هي حق ممارستها، عندها سوف يختل الميزان وتتكرس من جديد دولة الرعية لا دولة المواطنين.

سيادة القانون أيضًا من أهم مكونات هذا اللقاح العجيب، وهي ليست فقط امتثال الأفراد كافة لأحكامه، بل أيضًا اعتبار كل أعمال السلطات العامة وتدابيرها وإجراءاتها وقراراتها غير صحيحة ولا تتسم بالمشروعية، ولا منتجة لآثارها القانونية، ما لم تكن مطابقة لقواعد القانون ومنسجمة مع أحكامه، وهي قبل كل ذلك وبعده مبدأ راسخ للحكم الرشيد، حيث يكون فيه جميع الأشخاص والمؤسسات والكيانات، بما في ذلك السلطة التي تتولى إدارة الشؤون العامة، مسؤولين أمام قوانين صادرة علنًا ومتسمة بالمشروعية الدستورية، وتطبق على الجميع بالتساوي ويحتكم في إطارها إلى قضاء مستقل، وتتفق مع القواعد والمعايير الدولية لحقوق الإنسان، فما من دولة تغولت فيها أجهزة الحكم وأدواته إلا وكانت دولة شمولية دكتاتورية لا تقبل الرأي الآخر في أي شأن من شؤونها مهما كان صغيرًا أو تافهًا.

استقلال القضاء لعله أهم ركن من أركان الديمقراطية، فليس علينا أن نتوهم وجود قضاء مستقل في ظل دولة بوليسية استبدادية لا تقيم وزنًا لمبدأ سيادة القانون، لأنهما على طرفي نقيض، وكلما خطونا خطوة نحو هذا الأمر، فككنا لبنة من بنيان الاستبداد بالضرورة.

الشفافية أيضًا جزء من الوصفة والتركيبة، وهي لا تتحقق إلا بتوفير سبل الوصول إلى المعلومات والاطلاع عليها، ودعم حرية الصحافة التي تتيح طرح ومناقشة مختلف القضايا والسياسات ضمن الفضاء العام، فغياب آليات المراقبة والمحاسبة وانعدام الحريات الإعلامية، يوفر البيئة المناسبة لتعشيش الفساد ونموه واستشرائه، فالفساد صنو الاستبداد، وما إن يتوفر الثاني حتى يبدأ الأول بالنمو والتغول.

وأخيرًا لا بد من الإشارة والتوكيد على حاجة سوريا إلى برنامج وطني شامل للعدالة الانتقالية، التي هي ليست فقط مطلبًا ملحًا لضحايا الجرائم والانتهاكات والفظاعات المرتكبة في سوريا وذويهم فحسب، بل حاجة مجتمعية سورية لنقل المجتمع السوري من ضفة الاحتراب والصراع إلى ضفة السلامة الوطنية، فحجم وهول الجرائم والانتهاكات المرتكبة بحق السوريين خلّف تصدعًا مجتمعيًا كبيرًا، خاصة بعد أن تم إلباس الصراع لبوسًا طائفيًا ودينيًا، وهذا يزيد من حاجة السوريين أكثر إلى برنامج وطني للعدالة الانتقالية، يأخذ على عاتقه إعادة بناء المؤسسات التي ضلعت في ارتكاب الجرائم والانتهاكات، أو سكتت عنها، لتتمكن من إدارة الحريات بدلًا من قمعها، وحماية الحقوق بدلًا من استلابها، كما يأخذ على عاتقه أيضًا، وقبل تعويض الضحايا، محاسبة كبار المسؤولين عن ارتكاب الفظاعات والانتهاكات والقتل المنهجي للسوريين، فترميم المجتمع لا يكون برضوخ الضحايا لجلاديهم، وكأن شيئًا لم يكن أو لم يحصل، ولا يكون بكنس القمامة ووضعها تحت السجاد، بل بتنظيف البيت السوري ووضع القمامة حيث يجب أن توضع.

مسألة المحاسبة والمساءلة تعتبر ذات أولوية كبرى ضمن أولويات واحتياجات المجتمع السوري حتى يستطيع أن يعالج جراحه، ويرمم آدميته، ويطوي تلك المرحلة من حياته، ليؤسس لمرحلة مغايرة، أساسها القطع مع الماضي الاستبدادي، وترسيخ قيم حقوق الإنسان حتى يكون قد استوفى شروط صناعة هذا اللقاح الذي يحصّن مناعته ضد كل أشكال الاستبداد.

تحديات الاقتصاد والأمن والسياسة

حكومة المرحلة
أمام اختبار الـ90 يومًا

عنب بلدي
ملف العدد 670
الأحد 22 كانون الأول 2024

إعداد:
حسن إبراهيم
هاني كرزي
جنى العيسى

بـدأ العـد التنـازلي لحكومة تسـيير الأعمال السـورية، التي تديـر دفة الحكـم على أنقاض منظومـة هشـة سياسـيًا واقتصاديًـا وأمنيًـا، في مسـار مدتـه 90 يومًـا، لا يـزال يتسـم بالضبابيـة والتشـتت، وتعترضـه المطبـات، مـع حديث عـن التحول مـن عقلية الثـورة إلى عقليـة الدولة والمؤسسـات.

تحـت أنظـار ومراقبة دوليـة وأممية وشـعبية، تحبـو حكومـة تسـيير الأعمال في أروقة حكـم سـوريا، آخـذة بالتوسـع بدءًا مـن نواتهـا حكومـة "الإنقـاذ" التي كانـت تعمل في إدلـب، منـذ 2017، إلى السـيطرة على مفاصـل القطاعات في عمـوم الجغرافيا السـورية.

بلـد منهـك وممـزق ومدمّر، يحمـل إرثًـا وعبئًا ثقـيلًا تمتد جذوره لـ53 عامًا من سـيطرة آل الأسـد، قبـع آخـر 13 عامًـا ضمن أسـوأ مراكـز التصنيف العالميـة على مسـتويات عدة، ينتظـر منـذ هروب بشـار الأسـد، في 8 مـن كانـون الأول الحـالي، تغييرات بالحـد الأدنى، مـع آمـال بالتعـافي تدريجيًا، وخلـق أرضية تؤسـس لدولـة يحلم بها السـوريون.

في هـذا الملـف، تسـلط عنب بلـدي الضوء على خطـوات حكومة تسـيير الأعمال سياسـيًا واقتصاديًـا وأمنيًـا، والممكـن إنجـازه في فترة الـ90 يومًـا، والعقبات أمامهـا، وتناقش مع مختـصين وخبراء تفاصيل هـذه الخطـوات والأولوية فيهـا، والمطلوب تقديمـه، ومآلاتها.

قائد "القيادة العامة" في سوريا أحمد الشرع مع عسكريين في الفصائل السورية – 21 كانون الأول 2024 (القيادة العامة)

ثلاث مراحل لبداية سوريا جديدة

في 27 من تشرين الثاني الماضي، أطلقت فصائل المعارضة السورية عملية "ردع العدوان" ضد قوات نظام بشار الأسد وحلفائه، أفضت خلال 11 يومًا إلى سقوط النظام، وفرار الأسد إلى روسيا.
وكلفت "إدارة العمليات العسكرية" التي دارت المعركة، محمد البشير (رئيس حكومة الإنقاذ)، في 10 من كانون الأول، بتشكيل حكومة تسيير أعمال لمدة مؤقتة، حتى 1 من آذار 2025، والتي بدأت بتسلّم المهام والصلاحيات.
وتصدر قائد "إدارة العمليات العسكرية"، أحمد الشرع (أبو محمد الجولاني)، المشهد، وقابل عدة وفود دولية وأممية في العاصمة دمشق، وحدد ثلاث مراحل يجب أن تمر بها سوريا، الأولى تسلم حكومة مؤقتة، وهو ما تحقق بوجود حكومة تسيير الأعمال.
المرحلة الثانية تتمثل بدعوة لمؤتمر وطني جامع لكل السوريين، يصوت على بعض المسائل المهمة مثل حل الدستور وحل البرلمان، وتشكيل مجلس استشاري يملأ الفراغ البرلماني والدستوري خلال الفترة المؤقتة (تسيير الأعمال)، حتى تكون هناك بنية تحتية لانتخابات (المرحلة الثالثة) في ظل وجود قرابة نصف السوريين خارج البلاد، وكثير منهم ليس لديه وثائق، وهناك حاجة لإحصاء شامل والتواصل مع الجاليات في المهجر.
وقال الشرع، إن من حق الناس أن يختاروا من يحكمهم ويمثلهم في مجلس النواب، ولا أحد يستطيع إلغاء الآخر في سوريا، مع وعود بمحاولة الوصول عبر الحوار لعقد اجتماعي كامل يحافظ على أمن مستدام للسوريين، لافتًا إلى أن الحكم في سوريا سيكون متناسبًا مع ثقافة وتاريخ البلد، وأن سوريا لن تكون نسخة من أفغانستان.

الاقتصاد وحاجة الناس.. تأمين الوقود أولوية

يعد الملف الاقتصادي والمعيشي في سوريا من أبرز التحديات التي تواجه حكومة تسيير الأعمال، خاصة في ظل تعطل الإنتاج منذ سنوات وتدهور القدرة الشرائية للمواطنين.
لا يمكن اختزال ما أدى لتدهور الاقتصاد خلال فترة حكم الأسد بعد عام 2011 ببضعة أسطر، إلا أن بعض القوانين التي سنّها أسهمت بشكل مباشر بإفقار السوريين، فيما لم تمنع بعض الإجراءات من تدهور القوة الشرائية.
إلى جانب العديد من القرارات، تبرز مسألة نقص الوقود التي عطلت عشرات المنشآت الصناعية والتجارية، وشلّت حركة التجارة، الأمر الذي أثر سلبًا على المعروض في الأسواق المحلية، ودفع بأسعار السلع للصعود بشكل يفوق قدرة الناس على الحصول عليها.
وخلال السنوات الماضية، لجأت حكومة النظام المخلوع إلى تحرير أسعار العديد من السلع أبرزها المحروقات، لكنها لم تقابل هذا الإجراء بزيادة مجزية للرواتب من شأنها تقليل الفجوة.
الأمين العام المساعد للأمم المتحدة، ومدير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي للدول العربية، الدكتور عبد الله الدردري، قال قبل أيام، إن التقديرات الأممية الأولية تشير إلى أن الاقتصاد السوري خسر حتى الآن 24 عامًا من التنمية البشرية.
وأوضح الدردري أن الناتج المحلي الإجمالي سجل تراجعًا كبيرًا من 62 مليار دولار أمريكي في عام 2010 إلى 8 مليارات فقط في عام 2023، في تصريحه لصحيفة "الشرق الأوسط"، في 13 من كانون الأول الحالي.
فيما ارتفع معدل الفقر في سوريا من 12% في عام 2010 إلى أكثر من 90% في 2023، مع تجاوز معدل الفقر الغذائي نسبة 65% من عدد السكان، بحسب التقديرات الأممية.
في ظل هذه المعطيات، تواجه حكومة تسيير الأعمال تحديًا صعبًا في إحداث تغيير إيجابي ينعكس على السوريين، وسط عدم وجود فرص واضحة قد تدعم رغبتها بالتغيير.

نحو اقتصاد حر

في الأيام العشرة الأولى لتسلمها الحكم في سوريا، لم تتضح بعد خطة حكومة تسيير الأعمال في الشأن الاقتصادي، إلا أنها ألغت العديد من القرارات التي أرهقت أصحاب رؤوس الأموال، في بادرة اعتبرها مختصون أنها على الطريق الصحيح لتعافي الأنشطة الاقتصادية.
من أبرز تلك القرارات إلغاء "منصة المستوردات"، وإلغاء الدليل التطبيقي للاستيراد، والسماح باستيراد جميع المواد من كل دول العالم، وإلغاء جميع الرسوم المفروضة على الاستيراد والتي كانت تضاف إلى الرسوم الجمركية، وإلغاء نظام التسعير للسلع المنتجة محليًا والمستوردة، فضلًا عن توحيد سعر الصرف بنشرات سعر الصرف الصادرة عن مصرف سوريا المركزي، بالإضافة إلى وقف منع التداول بالعملات الأجنبية.
رئيس غرفة "تجارة دمشق" صرح بأن حكومة تسيير الأعمال أبلغت رجال الأعمال بأنها ستتبنى نموذج السوق الحرة وتدمج البلاد في الاقتصاد العالمي.
الأستاذ في كلية الاقتصاد بجامعة "دمشق" الدكتور سليمان موصلّي، قال لعنب بلدي، إن سوريا تحولت بين يوم وليلة من اقتصاد القلة إلى اقتصاد السوق، موضحًا أن هذا التحول يجب أن ترافقه إجراءات تدريجية ومناسبة حتى يستعيد السوق توازنه.
وأوضح موصلّي أن من بين تلك الإجراءات عدم زيادة الرواتب بنسبة 300% دفعة واحدة، بل بشكل تدريجي مثلًا 100% كل عام، وعدم السماح باستيراد السيارات في هذه المرحلة لأن ذلك يستنزف القطع الأجنبي المحدود أصلًا.
كما يجب فرض رسوم جمركية بشكل انتقائي على السلع الكمالية، وإطلاق حملات لجذب الاستثمارات الأجنبية بصيغة الشركات المساهمة، وفق ما يرى الدكتور في الاقتصاد.

الرواتب أم الدعم.. ما الأولى؟

التوجه نحو الاقتصاد الحر سيلغي نظام دعم السلع، وهو ما لوحظ فور تسلم الحكومة لمهامها، إذ رافقت عملية إلغاء "البطاقة الذكية" التي كان يشتري الناس بموجبها ربطة الخبز بـ500 ليرة سورية، تحرير أسعار المادة، وبيعها بأكثر من 2000 ليرة سورية.
رغم أن عددًا من الخبراء لا يشجعون على استكمال نظام دعم السلع، فإن وقف العمل به دون إجراءات اقتصادية موازية قد يفقر الناس أكثر، ويزيد من تدهور قوتهم الشرائية.
خلال الأيام الماضية، وعد الشرع بزيادة على الرواتب والأجور قدرها 400% من أصل الرواتب الحالية، دون أن يذكر بدقة متى أو كيف سيبدأ العمل بها، سبقته وعود من محمد البشير بزيادة قدرها 300%.
الباحث الاقتصادي خالد تركاوي، قال لعنب بلدي، إن أولويات هذه المرحلة بالنسبة لحكومة تسيير الأعمال يجب أن تتركز على الخبز والوقود ورفع الرواتب.
وأضاف تركاوي أن نسبة الفقر الكبيرة تجعل مادة الخبز أساسية لكل عائلة كمكون غذائي شامل.
تركاوي أوضح أن تحسين حركة الوصول إلى الوقود في سوريا بهذه المرحلة أمر مهم، كونه يحرك المصانع والمواصلات وتأمين الطعام والدفء للعائلات، ويحسّن من وصل التيار الكهربائي، وغيرها من القطاعات التي تبنى بشكل رئيس على الوقود.
ويرى الباحث الاقتصادي أن مسألة رفع الرواتب قضية مهمة في هذا السياق، خاصة في حال كانت بنسبة مجزية كما جرى الحديث عنها (حوالي 400%)، إذ سيزيد ذلك من القوة الشرائية للمواطنين، وسيصبحون أكثر قدرة على الحصول على موادهم الأساسية.
ويعتقد الباحث أن زيادة الرواتب من شأنها تدوير عجلة الاقتصاد في البلاد بشكل سريع ومهم، إذ ستصرف هذه الرواتب في الأسواق، وتزيد الطلب على المواد والسلع بأنواعها، وبالتالي ستتعزز الحركة الإنتاجية.

"زيادة الرواتب يمكن تأجيلها"

إلى جانب تأمين السلم الأهلي للمواطنين، يجب على حكومة تسيير الأعمال في هذه المرحلة تأمين متطلبات الحد الأدنى للمعيشة للمواطنين، بحسب ما يرى الباحث الاقتصادي رضوان الدبس.
ويتفق الباحث رضوان الدبس مع الباحث خالد تركاوي، بأن ملف الطاقة والوقود من أبرز الأولويات، كونه مشغلًا لكل القطاعات الإنتاجية، ويؤدي توفر الوقود إلى توفر الكهرباء والمياه والزراعة والإنتاج وتشغيل الأفران والمواصلات وغيرها.
فيما يتعلق بموضوع زيادة الرواتب، اعتبر رضوان الدبس أن من المبكر الحديث عن هذه الخطوة، خاصة خلال الأشهر الثلاثة لتسلم حكومة تسيير الأعمال.
الدبس فسر رؤيته بأن سوريا كانت غارقة بفساد عميق ومشكلات اقتصادية كبيرة من نهب وسرقات، ما يجعل من الصعب تحمل عبء رفع الرواتب بنسبة كبيرة على ميزانية الدولة، التي لا تستطيع تأمين هذه النسب من الزيادة أساسًا.
وأشار الباحث إلى أن قدرة الحكومة في الوقت الحالي على محاربة احتكار المواد للتجار وتحسين أسعار بعض السلع وضبطها، قد تساعد الناس على تأمين احتياجاتهم الأساسية دون إرهاقهم.

12.9 مليون يعانون انعدام الأمن الغذائي

في 12 من كانون الأول الحالي، قال برنامج الأغذية العالمي، إن هناك حاجة إلى تمويل بقيمة 250 مليون دولار خلال الأشهر المقبلة في سوريا لتلبية الاحتياجات الإنسانية.
وقال مدير برنامج الأغذية العالمي في سوريا، كين كروسلي، إنه خلال هذه الفترة الحرجة التي تمر بها سوريا، توجد فرق برنامج الأغذية العالمي على الأرض لضمان حصول الأشخاص الأكثر ضعفًا في البلاد على المساعدات الغذائية العاجلة التي يحتاجون إليها.
وأضاف كروسلي، "في الوقت الحالي، أصبحت طرق الإمداد التجارية معرضة للخطر، وارتفعت أسعار المواد الغذائية، وانخفضت قيمة العملة السورية، كما أن المواد الأساسية مثل الأرز والسكر والزيت أصبحت نادرة، وارتفعت أسعار الخبز، ما يجعل من الأهمية بمكان أن نكثف جهودنا للمساعدة خلال موسم الشتاء هذا".
وبحسب برنامج الأغذية العالمي، فإن حوالي 12.9 مليون شخص يعانون من انعدام الأمن الغذائي في بداية هذا العام، بمن في ذلك ثلاثة ملايين يعانون من انعدام الأمن الغذائي الشديد، في حين انخفضت المساعدات الإنسانية بشكل كبير بسبب نقص التمويل.

اقتصاد السوق أو الاقتصاد الحر أو نظام الاقتصاد الرأسمالي، هو نظام يسمح للفرد بالقيام بأي نشاط اقتصادي يريده، وافتتاح أي مشروع، بالإضافة إلى حرية التعاقد بين الأفراد والمؤسسات، دون تدخل الدولة أو أجهزتها بذلك، بمعنى أن تترك الدولة السوق تضبط نفسها بنفسها دون أي تدخل في الأنشطة الاقتصادية. وجود نظام اقتصاد السوق الحرة لا يعني غياب الدولة والقطاع العام في تنظيم الحياة الاقتصادية داخل المجتمع، لأن الاقتصاد الحر قد يتسبب في احتكار بعض المؤسسات والأفراد للسوق من خلال احتكار المنتجات، لذلك نشأت فكرة "الاقتصاد الاجتماعي"، وهو بين الاقتصاد الرأسمالي والاقتصاد الاشتراكي، وتسعى الدولة من خلاله إلى تحقيق الموازنة والمساواة بين أفراد الوطن، وإعطاء الطبقات المتوسطة والفقيرة حقوقها. سياسة الاقتصاد الحر تقوم على تحرير الاقتصاد وجعل الأسعار مرتبطة بالعرض والطلب للسلع، دون تدخّل من قبل الدولة كما هي الحال في النظام المركزي الاشتراكي.

قائد "إدارة العمليات العسكرية" في سوريا أحمد الشرع مع المبعوث الأممي لسوريا غير بيدرسون في العاصمة دمشق – 15 كانون الأول 2024 (القيادة العامة)

قائد "القيادة العامة" في سوريا أحمد الشرع مع عسكريين في الفصائل السورية – 21 كانون الأول 2024 (القيادة العامة)

ملفات سياسية على الطاولة..

"العقوبات والإرهاب" تحت المجهر

ملفات كثيرة على طاولة حكومة تسيير الأعمال خلال الأشهر الثلاثة المقبلة، وسط مساعٍ لتجاوز بعض العقبات التي تحد أو تعوق عملها، على رأسها إلغاء العقوبات الغربية المفروضة على سوريا في عهد الأسد، وتصنيف "هيئة تحرير الشام" أبرز فصائل المعارضة على قائمة "الإرهاب".

كانت الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي ودول أخرى فرضت عقوبات اقتصادية وسياسية على نظام الأسد وشخصيات مرتبطة به، منذ اندلاع الثورة السورية عام 2011، ردًا على انتهاكات حقوق الإنسان، والقمع الدموي الذي قابل به الثورة.

بعد سقوط نظام الأسد، تكررت دعوة الشرع إلى رفع العقوبات الغربية عن سوريا، قائلًا إن جميع القيود بحاجة إلى رفع حتى تتمكن سوريا من إعادة البناء، وإن العقوبات كانت مفروضة على "الجلاد الذي رحل الآن".

إزالة من التصنيف.. واشنطن تفرد أوراقها

طالب قائد "إدارة العمليات العسكرية"، أحمد الشرع، برفع اسم "هيئة تحرير الشام" من قوائم الإرهاب، وفي مقابلة مع قناة "بي بي سي" البريطانية، شدد الشرع على أن "الهيئة" ليست جماعة "إرهابية"، وأنها لم تكن تستهدف المدنيين أو المناطق المدنية، وكانت ضحية لجرائم الأسد.

قائد الجناح العسكري في "تحرير الشام"، مرهف أبو قصرة الملقب بـ"أبو حسن الحموي"، طالب بحذف "الهيئة" وقائدها الشرع من قائمة "الإرهاب" الخاصة بالمنظمات والأفراد.

"هيئة تحرير الشام" رأس حربة الفصائل التي شاركت بعملية "ردع العدوان"، ابتعدت عن التصريح أو الظهور بشكل رسمي كفصيل عسكري، منذ 27 من تشرين الثاني الماضي، وكل ما يتعلق بها يندرج تحت عمل "إدارة العمليات العسكرية"، وحكومة تسيير الأعمال في دمشق.

وباختلاف المسميات، بدءًا من "جبهة النصرة" إلى "جبهة فتح الشام" إلى "هيئة تحرير الشام"، لا يزال الفصيل مدرجًا على قوائم الإرهاب لدى أمريكا وعدة دول أخرى، لكن ذلك قيد النظر، ويعتمد على تغيير السلوك، حيث أبدت واشنطن لهجة مختلفة تجاه الفصيل وقائده.

الولايات المتحدة التي لا تزال تصنّف "أبو محمد الجولاني" كـ"إرهابي عالمي" منذ أيار 2013، أوقفت مؤخرًا رصد مكافأة قدرها 10 ملايين دولار أمريكي لمن يدلي بمعلومات عنه، بعد أن عرضتها منذ 2020.

وفي 20 من كانون الأول الحالي، أجرت واشنطن أول محادثات رسمية مع الشرع، عبر لقاء جمعه بمساعدة وزير الخارجية الأمريكي، باربرا ليف، وسفير الولايات المتحدة، روجر كارستينز، والسفير دانيال روبنشتاين، في دمشق، لتكون أول زيارة لدبلوماسيين أمريكيين إلى العاصمة السورية منذ عام 2012.

ولم توضح المسؤولة الأمريكية ما إذا كانت واشنطن سترفع أيضًا اسم الشرع من قائمة الإرهاب.

وقالت ليف في مؤتمر صحفي افتراضي حضرته عنب بلدي، إن الشرع شخص براغماتي، و"سمعت منه تصريحات عملية ومعتدلة للغاية حول قضايا المرأة والحقوق المتساوية، والمناقشات معه كانت جيدة ومثمرة للغاية".

وأضافت أن بلادها تدعم عملية سياسية يقودها السوريون تؤدي إلى حكومة شاملة تحترم حقوق الجميع، وجرت مناقشة عدة نقاط هي:

- الحاجة لضمان عدم تمكن الجماعات "الإرهابية" من تشكيل تهديد لسوريا، والتزم أحمد الشرع بذلك.
- تقديم الولايات المتحدة الدعم الفني إلى سوريا لتوثيق جرائم نظام بشار الأسد، وستكون القبور الجماعية أولوية.
- تنظر الولايات المتحدة في أمر العقوبات، و"يتعين على الحكومة السورية الجديدة أن تكون متجاوبة وتظهر التقدم".
- تعمل واشنطن على إرسال مسؤولين أمريكيين إضافيين إلى دمشق للمساعدة في البحث عن المواطنين الأمريكيين.

ورحبت ليف بالرسائل الإيجابية، لكنها تتطلع إلى إحراز تقدم بشأن هذه المبادئ عبر الأفعال وليس الأقوال، مشيرة إلى أن التواصل مع السوريين والاستماع إليهم بشكل مباشر مثّل فرصة مهمة، ولديهم فرصة نادرة لإعادة بناء وتشكيل بلادهم.

وفي هذا الإطار، دعا وزير الخارجية الأمريكي، أنتوني بلينكن، السلطات الجديدة في سوريا إلى ضرورة الاستفادة من تجربة "حركة طالبان" في أفغانستان، وإلا ستلاقي "عزلة في جميع أنحاء العالم"، وهو ما نفاه الشرع، قائلًا إن "سوريا نموذج مختلف".

ولفت بلينكن إلى أنه على "المجموعة الناشئة في سوريا"، إذا كانت لا تريد العزلة، تحريك البلاد إلى الأمام والتأكد من المضي قدمًا بطريقة شاملة، وغير طائفية، للتعامل مع الأقليات وحمايتها، والتعامل مع بعض التحديات الأمنية، سواء كانت الأسلحة الكيماوية، أو مجموعات مثل تنظيم "الدولة الإسلامية".

وفي تحليل نشره معهد "واشنطن لدراسات الشرق الأدنى"، اعتبر أنه يمكن شطب جماعة معينة من قائمة "الإرهاب"، إذا قرر وزير الخارجية الأمريكي أن الظروف الأصلية التي أدت إلى التصنيف قد تغيّرت بما يكفي لتبرير إلغائها أو أن مصالح الأمن القومي الأمريكي تبرر إلغاءها.

وذكر أن إلغاء هذه العقوبات أمر أساسي لمنح القيادة السورية ما بعد الأسد فرصة لبناء نوع مختلف من الحكومة والبلد، ولكن أي عملية شطب من قائمة "الإرهاب"، سواء على مستوى الدولة أو الجماعة أو الأفراد، يجب أن تكون عن طريق الاستحقاق، وليس عن طريق الهبة.

ماذا عن تصنيف الدول الأخرى

طالب وزير الخارجية التركي، هاكان فيدان، الدول الغربية بإعادة النظر في تصنيف "تحرير الشام" على قوائم "الإرهاب"، مشيرًا إلى أن بلاده ستعيد النظر في هذا التصنيف.

وزير الخارجية الهولندي، كاسبار فيلدكامب، اعتبر أن الوقت ما زال مبكرًا لرفع العقوبات، مشددًا على أن أي خطوة للتسامح يجب أن تكون مشروطة.

كما دعا وزير الخارجية الإسباني، خوسيه مانويل ألباريس، إلى إجراء حوار مع الإدارة الجديدة في سوريا قبل التفكير في رفع العقوبات، مشددًا على ضرورة وضع خطوط حمراء تُحدد مستقبل البلاد.

أما رئيسة المفوضية الأوروبية، أورسولا فون ديرلاين، فشددت على أنه يمكن إعادة النظر في العقوبات الاقتصادية واسعة النطاق على سوريا، في حال أحرزت القيادة الجديدة تقدمًا نحو انتقال شامل وديمقراطي للسلطة.

روسيا، أبرز حلفاء النظام السوري المخلوع، والتي تدخلت في سوريا عسكريًا منذ أيلول 2015، قالت إنها ستبدأ تقييمًا بشأن إزالة "هيئة تحرير الشام" من قائمة "الإرهاب".

الخبير في الشأن الروسي الدكتور محمود الحمزة، يرى أن تصريحات موسكو هدفها التأثير إيجابًا على "هيئة تحرير الشام" والحكومة السورية الجديدة، لكسب ودها وبناء علاقة جيدة معها، كون الوجود الروسي في سوريا متعلقًا بالتفاوض مع الحكومة الجديدة في دمشق.

ويتوقع الحمزة أن تماطل روسيا كثيرًا في إزالة "تحرير الشام" من قائمة "الإرهاب"، حتى تأخذ ضمانات من الحكومة الجديدة بما يخص وجودها في سوريا، والدليل على ذلك أن روسيا منذ عام تتحدث أنها ستزيل "حركة طالبان" من قائمة "الإرهاب"، لكنها لم تفعل ذلك رغم تواصلها المباشر مع الحركة.

تحديات وثائق المعتقلين والمقابر الجماعية

من أبرز القضايا التي لا تزال مفتوحة بانتظار إجراءات لضبطها ومتابعتها، هي محاسبة المجرمين والمتورطين في جرائم الحرب والانتهاكات بحق السوريين، وضرورة حفظ الوثائق والأدلة التي لطالما حاول النظام المخلوع طمسها، وعدم العبث بالمقابر الجماعية.

مع اكتشاف بعض مواقع المقابر الجماعية، توافد عدد من الأشخاص إليها بدافع نبشها والبحث عن ذويهم عن طريق التعرف عليهم من لباسهم أو ملامحهم، بينما بدت تحركات سلطات الأمر الواقع أو المنظمات الدولية والأممية أو المحلية شبه غائبة، إذ لم يُمنع دخول الإعلاميين أو الناشطين إليها، دون أي جدوى من عملية البحث غير المنظمة والتي لا تستند إلى أي منهجية علمية أو طبية.

صدرت عدة بيانات وتصريحات بضرورة المحاسبة، منها محاسبة المجرمين والقتلة وضباط الأمن والجيش المتورطين في تعذيب الشعب السوري، وخضوع جميع الإعلاميين الحربيين الذين كانوا جزءًا من آلة الحرب والدعاية لنظام الرئيس المخلوع بشار الأسد للمحاكمة العادلة.

يرى الدبلوماسي السابق داني بعاج، أن حكومة تسيير الأعمال مطالبة بأسرع وقت بدعوة المنظمات الحقوقية للقدوم إلى سوريا، لضبط حالة الفوضى والعشوائية في التعامل مع الوثائق التي كانت موجودة في سجن "صيدنايا" والفروع الأمنية وأماكن المقابر الجماعية، فهذا التأخير يعوق أي نوع من المحاسبة.

وقال بعاج، إنه رغم الخطاب السياسي العقلاني والناضج لحكومة تسيير الأعمال، كانت هناك قلة خبرة وكفاءة في التعامل مع ملف محاسبة المجرمين والوثائق والأدلة المرتبطة بالجثث والمعتقلين.

وطالب بعاج الحكومة الجديدة بوضع حراسة على مواقع المقابر الجماعية ومنع الاقتراب منها، لافتًا إلى ضرورة دراسة طبقات التربة للتأكد كم مرة استُخدم ذات المكان لدفن جثث المعتقلين، ومن الممكن أن العظام قد اختلطت ببعضها فيجب إجراء فحص الحمض النووي بشكل دقيق، وهي أمور مهمة وحساسة يجب أن تكون ضمن خطة الحكومة في الفترة المقبلة.

من جانبه، قال مدير "المركز السوري للعدالة والمساءلة"، محمد العبد الله، إن العبث بهذا الشكل بمواقع المقابر الجماعية في سوريا يعد انتهاكًا لمسرح الجريمة وطمسًا للأدلة، ويصعب مهمة الباحثين عن المفقودين والمختصين المسؤولين عن تحديد هويات الضحايا الموجودة ضمن هذه المقابر.

وقال العبد الله لعنب بلدي، إنه يجب على حكومة تسيير الأعمال تأمين حماية لهذه المقابر حتى لو اضطر الأمر لتكون حماية مسلحة، وإحاطة هذه المقابر بسياج شائك أو حتى شريط يمنع الاقتراب منها، فضلًا عن منع نشر مواقعها.

وأوضح العبد الله أنه يجب منع تغطية وسائل الإعلام أو الناشطين لمواقع المقابر بهذه الطريقة، مؤكدًا أن أكثر من ناشط أو محطة إعلامية يصورون عملية نبش المقابر بشكل مباشر، الأمر الذي ينتهك حرمة الجثث والضحايا من جهة، ويحرض الناس على الذهاب إلى الموقع ونبش المقابر.

الحقوقي محمد العبد الله أكد أنه يجب عدم فتح هذه المقابر وعدم الاقتراب منها دون تشكيل إما هيئة وطنية للبحث عن المفقودين يكون من ضمن مهامها فتح المقابر الجماعية، أو البدء بعمل منظم يتبع لوزارة العدل في حكومة تسيير الأعمال، كما حدث في العراق وأربيل وإقليم كردستان العراق

معضلة "الإدارة الذاتية".. نقص خبرة دبلوماسية

من أبرز التحديات السياسية والأمنية الداخلية، ملف التعامل مع "الإدارة الذاتية" وجناحها العسكري "قوات سوريا الديمقراطية" (قسد) التي تسيطر على مناطق شمال شرقي سوريا، وهو ما تتعامل معه "القيادة العامة" وحكومة تسيير الأعمال.

بعد يومين من سقوط نظام بشار الأسد، أبدى قائد "قوات سوريا الديمقراطية" (قسد)، مظلوم عبدي، استعداده للتواصل مع السلطة الجديدة في دمشق، مشددًا على ضرورة تمثيل جميع المناطق والمكونات من خلال الحوار.

"الإدارة الذاتية" أطلقت مبادرة للحوار مع "القيادة العامة" التي تولت زمام الإدارة في العاصمة دمشق، وقالت، في 16 من كانون الأول، إن التعاون سيكون في مصلحة جميع السوريين، وسيُسهم في تسهيل الخروج من هذه المرحلة.

تدعم أمريكا "قسد" وتعتبرها شريكة لها في محاربة تنظيم "الدولة الإسلامية"، بينما تعتبر أنقرة أن "قسد" إرهابية وامتداد لحزب "العمال الكردستاني".

الدعوات للحوار مع حكومة تسيير الأعمال، ترافقت مع قيام "الإدارة الذاتية" برفع علم الثورة السورية على جميع المجالس والمؤسسات والإدارات والمرافق التابعة لها بمناطق سيطرتها.

في المقابل، قال قائد الجناح العسكري في "تحرير الشام"، مرهف أبو قصرة، إن مناطق سيطرة "الإدارة الذاتية" ستُضم إلى حكومة تسيير الأعمال في دمشق، و"سوريا لن تتجزأ ولن توجد فيها فيدراليات"، وفق تعبيره.

وخلال لقائه مع إعلاميين، قال الشرع، إن الكرد جزء من الوطن، وتعرضوا لظلم كبير، وإنهم جزء أساسي من سوريا القادمة، لافتًا إلى ضرورة العيش معًا وأن يأخذ كل فرد حقه بالقانون، مشيرًا إلى ضوابط جديدة وتاريخ جديد في سوريا.

مدير مركز "رامان للدراسات" بدر ملا رشيد، اعتبر أن إمكانية وجود دور لـ"الإدارة الذاتية" في الحكومة السورية الجديدة، يتوقف على عدة عوامل، منها موقف حكومة تسيير الأعمال خلال الأشهر الثلاثة المقبلة، فحتى الآن تتمحور مقاربة أحمد الشرع حول الانفتاح على المبادرات الفردية، وتجنب الدخول في المحاصصة السياسية والعسكرية قدر الإمكان.

وأضاف ملا رشيد لعنب بلدي، أنه في حال رغبت الحكومة الجديدة بتعزيز شرعيتها السياسية، وتقوية الأمن والتهدئة الداخلية، فإنها ستتجه في مرحلة مقبلة لتغيير مقاربتها بشكل يسهل انضمام أطراف أخرى لما يشبه الجمعية العمومية، وهذا مرتبط بقيام "الإدارة الذاتية" بقطع كامل علاقتها مع حزب "العمال الكردستاني"، وتقبلها لفكرة مشاركة الغير على قدم المساواة، حينها ستتمكن من الانخراط بمرونة أكبر ضمن التفاعلات السياسية والحكومية في دمشق.

ويرى ملا رشيد أن المعضلة الحقيقية التي ستعترض حكومة تسيير الأعمال قريبًا، هي التشاركية في الحكم مع "الإدارة الذاتية"، وشكل مقاربتها لواجبات وحقوق الإثنيات والأديان والطوائف السورية المختلفة، والتي تنتشر بكثرة في مناطق "الإدارة الذاتية" شمال شرقي سوريا.

نضج سياسي

عقب انطلاق معركة "ردع العدوان"، أطلقت الإدارة السياسية في فصائل المعارضة سلسلة من البيانات، التي حملت رسائل تطمين لمختلف الطوائف والأديان في سوريا، ووجهت رسائل إلى الخارج أيضًا.

أبرز هذه الرسائل هي أن الشعب السوري يسعى لبناء علاقات إيجابية قائمة على الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة مع كل دول العالم، بما في ذلك روسيا، مع اعتبارها "شريكًا محتملًا" في بناء مستقبل مشرق لسوريا.

وعقب سقوط الأسد، شهدت سوريا حراكًا دبلوماسيًا، حيث أعادت دول فتح سفاراتها في دمشق، بينما أعلنت دول أخرى نيّتها لذلك قريبًا، كما أعلنت "إدارة الشؤون السياسية" تعيين ثلاثة أشخاص كمسؤولين عن الملف الدبلوماسي وعمل السفارات داخل سوريا.

الدبلوماسي السوري السابق داني بعاج، اعتبر في حديث لعنب بلدي أن البيانات التي أصدرتها حكومة تسيير الأعمال تدل على وجود وعي ونضج سياسي لديها، ومسؤولية سياسية عالية وفهم لطبيعة البلد والمرحلة المقبلة، ولا سيما بيانات طمأنة الأقليات والتأكيد على عدم الانتقام من أتباع الأسد، حيث كانت تلك البيانات بمثابة حجر أساس لمرحلة الانتقال السياسي.

وأضاف بعاج أنه رغم النضج السياسي الذي بدت عليه حكومة تسيير الأعمال، من حيث البيانات التي أطلقتها، كان هناك ضعف في الخبرة الدبلوماسية، فخلال جلسة مجلس الأمن الأخيرة، كان أمام الحكومة السورية فرصة مهمة أن تكتب بيانًا يلقيه سفيرها قصي الضحاك، الذي كان سيعكس تصور أول حكومة سورية حرة، وما خططها وموقفها من القرار "2254" والانتقال السياسي، وهو ما كان سيسهم في وضع الحكومة الجديدة أول حجر لفرض كلمتها على الساحة الدولية.

> خلال الفترة الحالية، من الضروري المحافظة على بنية الجيش المادية والهيكلية، ويمكن إعادة تنظيمه بالاعتماد على عناصر الفصائل والعسكريين الذين يجرون تسوية ويثبت عدم تلطخ أيديهم بالدماء. أما حل الجيش وإعادة بنائه من جديد ففيه مخاطرة كبيرة، وسيؤدي إلى خلل أمني وعسكري كبير، وقد يطيح بمكتسبات الثورة التي تم تحقيقها خلال كل السنوات الماضية.
>
> العقيد مصطفى بكور
> الناطق الرسمي باسم "جيش العزة"

خطوات من الشرع والدول

الباحث في شؤون الحركات الإسلامية عرابي عرابي، يرى أن المرحلة الحالية (ثلاثة أشهر) تتطلب إنشاء هيئة حكم انتقالية، تعمل على وضع دستور، وإقرار انتخاب، وما يتبعه من خطوات لاحقة.

وقال عرابي لعنب بلدي، إن جزءًا كبيرًا خلال مرحلة الأشهر الثلاثة سيكون مرتبطًا بـ"هيئة تحرير الشام"، لأنها رقم مركزي في المعادلة الحالية، كما أن النقاش مع الشرع (الجولاني) ضروري لضمان أمن سوريا وضمان الاستقرار.

ويرى عرابي أن الخطوات المطلوب تقديمها من الشرع خلال هذه الفترة هي:

1. إشراك الأقليات وتوسيع طيف تمثيل الأطراف في الهيئة الانتقالية.
2. تسليم بعض المطلوبين لدولهم.
3. منع ظهور تنظيم جديد شبيه بتنظيم "الدولة الإسلامية" في سوريا.
4. الحوار مع "قسد" بصيغة ملائمة لعدم التقسيم، وربما بإشراف أمريكي لذلك.
5. هيكلة الجيش بما يضمن التوازن داخل سوريا، دون أن يعبّر الجيش عن لون طائفة معيّنة.
6. عدم السماح بوجود ممر لإيران على الأراضي السورية، رغم أنه أمر محسوم بالنسبة للشعب السوري والحكومة، لكنه مطلب يجب الالتفات له.

ولفت عرابي إلى أهمية وجود ثلاثة مبادئ لن يساوم عليها الشرع داخليًا أو دوليًا في هذه المرحلة، وهي استقلال سوريا بالكامل، وعدم وجود أي جهة تعمل داخل سوريا، وبالنسبة لـ"قسد"، إما أن تكون منضوية ضمن الإدارة الجديدة، أو تكون هناك مواجهة لاحقة.

ومن المبادئ، وفق عرابي، الاعتراف ودعم الحكومة المقبلة، وعدم التدخل في شؤونها الداخلية، ودعم سوريا في مسألة إعادة الإعمار، وهذا يتطلب رفع "هيئة تحرير الشام" من التصنيف.

أمنيًا.. محاسبة المجرمين ومشكلة السلاح

واكبت عملية "ردع العدوان" وتبعتها بيانات ذات طابع أمني وعسكري، بدأت بدعوة للعناصر والضباط إلى الانشقاق عن قوات النظام، وإلقاء السلاح، وتجنب الدماء، والخروج الآمن من المدن والمواقع العسكرية، وانتهت بعمليات "تسوية" ومنح بطاقات "مؤقتة" لتسهيل حركتهم.

ومنعت "إدارة العمليات" إطلاق الرصاص في الهواء، والمساس بالمؤسسات العامة وممتلكاتها، وطالبت بإعادة الممتلكات المأخوذة من المؤسسات المدنية والعسكرية، وسحب المظاهر المسلحة من بعض المدن، ومنها حلب.

بعد سقوط النظام بيومين، قال أحمد الشرع، إن "إدارة العمليات" لن تتوانى عن محاسبة المجرمين والقتلة وضباط الأمن والجيش المتورطين في تعذيب الشعب السوري، وستطلبهم من الدول التي فروا إليها حتى ينالوا جزاءهم العادل، وستصدر القائمة رقم "1"، التي تتضمن أسماء كبار المتورطين في التعذيب، ثم كشف عن عزمه حل القوات الأمنية التابعة لنظام الأسد المخلوع، وإغلاق السجون السيئة السمعة.

هذه البيانات لم تمنع وجود حالات فوضى وسرقة وعمليات "قتل وتصفية" لبعض مرتكبي الانتهاكات أو "الشبيحة"، وظهرت حالات متفرقة منها، كما طالب أهالٍ بضرورة ضبط الأمن، خاصة في الساحل السوري، الذي شهد، في 14 من كانون الأول، مقتل ثلاثة عناصر في "إدارة العمليات" إثر اشتباك مع عائلة تُتهم بالسرقة، في بلدة المزيرعة بريف اللاذقية.

الدبلوماسي السابق داني بعاج دعا حكومة تسيير الأعمال إلى ضبط "الإعدامات الميدانية" التي حصلت مؤخرًا، والتي تستهدف أشخاصًا معروفين بارتكابهم جرائم بحق السوريين، مشيرًا إلى أنه قبل إعدامهم أو محاكمتهم يجب الاستماع إلى شهاداتهم وتوثيقها، وحتى بعد سماع شهاداتهم يجب تركهم قيد الاعتقال ريثما يجري سماع باقي الشهادات ومقاطعة المعلومات مع بعضها، بغية الوصول إلى أدلة حقيقية تساعد في محاكمة كل المجرمين.

قبل أن تصبح حكومة تسيير أعمال، كان لدى "الإنقاذ" في إدلب "كلية شرطة" ونموذج "جهاز الأمن العام" الذي تحوّل اسمه إلى "إدارة الأمن العام"، ومع سيطرة الفصائل على المدن تباعًا، أعلنت وزارة الداخلية عن فتح باب الانتساب لـ"الشرطة- الأمن العام" عبر الالتحاق بـ"كلية الشرطة- دورة أفراد"، في مراكز أنشأتها بمدن حلب وحماة وحمص ودمشق واللاذقية وطرطوس.

وخلال تسجيل مصور، وفي رده على سؤال حول التجنيد الإجباري، قال الشرع، إنه يدرس الأمور مبدئيًا، وسيكون هناك جيش تطوعي، فالإقبال كبير، ولا حاجة لزيادة كاهل السوريين بقضية "كابوس التجنيد الإجباري"، مع إمكانية إجراء بعض الاختصاصات بأن يكون فيها تجنيد إجباري لمدة 15 إلى 20 يومًا في حالات الخطر الشديد الذي سيكون فيه تعبئة عامة.

العقيد مصطفى بكور، الناطق الرسمي باسم "جيش العزة"، أحد فصائل "إدارة العمليات"، اعتبر في حديث لعنب بلدي أن تسوية أوضاع العسكريين ونزع السلاح ومحاسبة المجرمين خطوات جيدة في طريق تحقيق الأمن والاستقرار في سوريا، لكن يجب أن تستكمل هذه الخطوات بإعادة العسكريين المنشقين إلى المواقع التي يمكنهم أن يقدموا من خلالها خدماتهم وخبراتهم للدولة الجديدة، وخاصة أولئك الذين لم يغادروا سوريا، وانخرطوا في العمل العسكري ضد قوات الأسد، معتبرًا أنهم الأكثر غيرة على مستقبل البلاد من أولئك الذين قاتلوا مع النظام حتى آخر لحظة.

وأضاف بكور أن أبرز المخاطر التي يمكن أن تهدد الأمن والاستقرار، هي التهاون في معالجة محاولات إثارة القلاقل والتحريض من قبل فلول النظام السابق والمتضررين من سقوطه، وعدم شمول عملية البناء كل أطياف المجتمع السوري، وخاصة أبناء الثورة السورية.

ويعتقد بكور أن الحكومة الحالية تعي إعطاء الحالة الأمنية والعسكرية أهمية خاصة، متوقعًا أن تبذل جهدًا ونشاطًا كبيرًا باتجاه توحيد الفصائل، وإنشاء وزارة دفاع تضم كل العسكريين من الفصائل ومن لم تتلطخ يديه بالدماء من بقايا جيش النظام السابق، وهذا الأمر سيكون له تأثير إيجابي على المستويين الأمني والعسكري.

النجاح مرهون بتوافق محلي- دولي

في الـ90 يومًا وما بعدها، تبقى جميع الاحتمالات واردة أمام تشكيل نواة وحجر أساس لدولة لم تتضح معالمها أو شكلها بعد، وسط وجود أطراف داخلية تعمل وأخرى تترقب دورها، وخارجية لطالما كان لها ثقلها ومصالحها في الملف السوري، وضعت شروطها للتعاون مع "سوريا الجديدة"، وواقع اقتصادي ومعيشي وأمني أقل تعقيدًا مما بدا عليه قبل سقوط نظام حكم الأسد.

رئيس وزراء ووزير خارجية السويد سابقًا، كارل بيلدت، اعتبر أن تركيز فصائل المعارضة (إدارة العمليات) على بناء وصيانة مؤسسات الدولة يظهر أنهم يدركون المخاطر جيدًا، وفق تقرير نشره في موقع The Strategist"".

ولتجنب بعض المخاطر وبدء الطريق إلى الأمام في سوريا، يرى بيلدت أنه لا بد أن يتولى السوريون ذلك، ولكن بمساعدة خارجية، قائلًا إن الوضع الإنساني في سوريا مروع ويتطلب اهتمامًا فوريًا، ويتعين على الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة أن يوضحا لجميع الأطراف المعنية أنهما على استعداد لرفع العقوبات الاقتصادية المفروضة على سوريا دعمًا للانتقال السياسي.

ويعتقد بيلدت أن العملية المنتظرة في سوريا سوف تكون طويلة ومعقدة، لأن الحكم في سوريا لم يكن قط بالأمر البسيط، وفي حال بدأ أي من اللاعبين الرئيسين (المحليين والإقليميين والدوليين) بملاحقة أجندته الخاصة من جانب واحد، فقد تتدهور الأوضاع بسرعة.

واعتبر أن عملية الأمم المتحدة تمثل أفضل السبل للمضي قدمًا، ما يمنح المنظمة فرصة لإظهار للعالم أنها لا تزال لا غنى عنها في مثل هذه المواقف، إذ يشكل القرار "2254" حجر الزاوية في الجهود الدبلوماسية الدولية لحل الصراع السوري، وهو يوفر خارطة طريق واضحة للانتقال السياسي بقيادة سورية في ظل دستور جديد، مع انتخابات تحت إشراف الأمم المتحدة وتدابير لضمان الحكم الشامل.

رئيس قسم دراسات الشرق الأوسط في كلية "سميث"، الباحث والخبيرستيف هايدمان، اعتبر أن هناك عددًا من الخطوات التي يمكن للولايات المتحدة أن تتخذها، والتي من شأنها أن يكون لها تأثير إيجابي على عملية الانتقال التي تجري الآن في سوريا، وهي:

- رفع بعض العقوبات الاقتصادية التي فرضت على نظام الأسد، ما يعني دفعة هائلة للاقتصاد السوري، وهذا مهم في هذه المراحل المبكرة الحاسمة من عملية الانتقال.
- لعب دور في مساعدة السوريين باستعادة أصولهم، واستعادة بعض مليارات الدولارات التي سرقها بشار الأسد وحلفاؤه بشكل غير قانوني على مدار سنوات حكمه.
- دعم الجهود السورية الرامية إلى محاسبة الذين شاركوا في جرائم الحرب.
- استعداد واشنطن للاستثمار في إعادة الإعمار، باعتبارها إحدى الطرق التي قد تسهم بها الولايات المتحدة في تحقيق انتقال سلس في سوريا.

الاحتياجات الإنسانية في سوريا

بعد سقوط نظام الأسد

17 مليون
شخص بحاجة إلى المساعدة
(70% من السكان)

احتياجات غذائية

5.7 مليون شخص
بحاجة إلى المساعدات الغذائية

بينهم 3.7 مليون طفل

احتياجات الأطفال

7.5 مليون بحاجة إلى مساعدات إنسانية
6.4 مليون يحتاجون إلى خدمات الحماية

في قطاع التعليم

2.4 مليون طفل خارج المدارس
مليون طفل مهدد بالتسرب من التعليم

التاريخ: 18 كانون الأول 2024

الأمم المتحدة
منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسف)

EnabBaladi.net

الدمار يمنع سوريين من العودة إلى منازلهم

عنب بلدي – علي درويش

اصطدم حلم المهجرين السوريين داخليًا وخارجيًا خلال الأيام الماضية بالعودة إلى منازلهم مع الواقع الذي خلفه قصف نظام بشار الأسد للمناطق المدنية، والسماح لـ"الشبيحة" والميليشيات باستباحة منازل المهجرين، لينهبوا ويدمروا ما لم تطله القنابل.
آلاف المهجرين توجهوا إلى بلداتهم وقراهم بعد السيطرة عليها من قبل "إدارة العمليات العسكرية"، لكن لم يستطيعوا العيش في منازلهم، بسبب دمارها بشكل كامل أو تعرضها لدمار كبير.
وفي 27 من تشرين الثاني الماضي، كان السوريون على موعد مع حدث لم يتوقعوه، وهو بدء عمل عسكري ضد نظام بشار الأسد والسيطرة على مناطق جديدة، ما يمنح المهجرين فرصة للعودة إلى قراهم.
وكان أحد الأهداف الرئيسة للعملية العسكرية إعادة المهجرين، واستطاع مقاتلو "إدارة العمليات العسكرية" السيطرة على معظم مساحة سوريا، بعد إسقاط النظام في 8 من كانون الأول، ما يسمح لعدد كبير من المهجرين داخليًا وخارجيًا من العودة إلى منازلهم.

عودة بطعم النزوح

موجات البرد القاسية في بلدة عرسال اللبنانية بجبال القلمون (سلسلة جبال لبنان الشرقية)، التي عانى منها المهجرون منذ العام 2014، أجبرت بعضهم على العودة إلى القرى رغم ما لحق بمنازلهم من دمار.
وقال حكمت درويش المقيم في عرسال، إن أبناء قرى وبلدات القلمون النازحين في عرسال سارعوا إلى حزم أمتعتهم للعودة إلى قراهم بعد سقوط النظام، وذلك كان حال القرى والبلدات التي لم تتعرض لدمار ملحوظ مثل قارة وفليطة (المشرفة) وجراجير وعسال الورد ورأس العين ومدينة يبرود
لكن حركة عودة أبناء قريته بخعة (الصرخة) كانت بدرجة أقل، نظرًا إلى الدمار الذي عانت منه القرية خلال المعركة التي خاضها عناصر "الجيش الحر" ضد قوات النظام و"حزب الله" اللبناني بين شهري آذار ونيسان 2014.
المعركة استمرت أكثر من شهر وتعرضت خلالها البلدة لقصف مدفعي وغارات جوية إلى جانب البراميل المتفجرة، التي كان لها دور كبير في دمار المنازل، نظرًا إلى أن مساحة العمران في القرية صغيرة مقارنة بباقي قرى القلمون الغربي.
كما تعرضت القرية بعد انسحاب "الجيش الحر" لتفجير متعمد لعدد من البيوت، ودخلتها ورشات "التعفيش" المعروفة بنهب الأثاث كمرحلة أولى، ثم البلاط وأشرطة الكهرباء ولوازم التمديدات الصحية من الجدران، وأخيرًا تدمير الأسقف لسحب الحديد من "البيتون"، أو الخشب كون هناك عدة منازل ما زالت أسقفها من الخشب واللبن.
وأوضح حكمت لعنب بلدي أن عددًا من عائلات القرية عادت إلى منازلها رغم عدم وجود أسقف أو أبواب أو نوافذ، فعملت على تغطية السقف بالخشب وشوادر خيمتهم التي جلبوها معهم من عرسال، وغطوا النوافذ بالنايلون، وأجروا بعض الإصلاحات الأساسية، فالحالة المادية لا تسمح بأكثر من ذلك، بعد عشر سنوات من النزوح والعيش في المخيمات.
بعض العائلات توجهت إلى مناطق أخرى في القلمون، واستأجرت منازل فيها إلى أن ينتهي فصل الشتاء، اعتمادًا على حوالات مالية من أفراد العائلة في الخارج.
حالة أهالي القرية وعائلات من القرى المجاورة المدمرة منازلها وصفها حكمت بأنها "تهجير آخر"، نظرًا إلى الأوضاع الاقتصادية وطريقة العودة.
حكمت وباقي عائلات القرية بقوا في عرسال أو بمناطق أخرى في لبنان لعدم قدرتهم على العودة بسبب دمار منازلهم، وعدم قدرتهم على استئجار منازل في سوريا، وحتى بعضهم ليست لديه أجرة نقل أثاثه من عرسال إلى سوريا عبر منطقة الجرود، فتكلفة نقل السيارة الواحدة تتجاوز 200 دولار.

مدمر بالكامل

مع وصول عبد الباسط أبو دعيمس إلى منزله في قرية معر شورين بريف إدلب الجنوبي، وجده مدمرًا بالكامل، بعد نزوح استمر نحو خمس سنوات.
منذ سنوات الثورة الأولى، نزح عبد الباسط وعائلته من منزله أكثر من عشر مرات إلى مناطق أكثر أمنًا، بسبب تصاعد القصف أو حملات قوات نظام الأسد لاعتقال المدنيين، وفي نهاية 2019، نزح عبد الباسط إلى ريف إدلب الشمالي بعد سيطرة النظام السابق على المنطقة.

دمار ناتج عن غارة جوية على بلدة حمورية بالغوطة الشرقية (رويترز)

بينها الصدمة و"عقدة الناجي"

آثار نفسية.. لمشاهد زنازين الموت في سوريا

عنب بلدي – نوران السمان

في 8 من كانون الأول الحالي، بعد سقوط النظام السوري، وسيطرة فصائل المعارضة على مناطق واسعة في سوريا، بما في ذلك السجون، خرج المئات من المعتقلين الذين قضى بعضهم أكثر من عقد داخل زنازين النظام، فيما انتشرت مقاطع مصورة توثق المشاهد القاسية داخل تلك السجون على منصات التواصل الاجتماعي ومواقع الأخبار، لتسلط الضوء على الفظائع المرتكبة، خاصة في سجن "صيدنايا".
المشاهد الصادمة لم تعكس فقط المعاناة التي عاشها المعتقلون داخل هذه الزنازين، بل فتحت جروحًا نفسية عميقة للمشاهدين الذين تابعوا تلك الفيديوهات، سواء كانوا من ضحايا النزاع أو من المهتمين بالجانب الإنساني للمأساة السورية.

آثار نفسية

أوضح استشاري الطب النفسي الدكتور ملهم الحراكي، أن مشاهدة الفيديوهات التي توثق التعذيب والانتهاكات في سجون النظام السوري، مثل سجن "صيدنايا"، تسبب تأثيرات نفسية عميقة تختلف من شخص إلى آخر، تتراوح بين الصدمة والغضب إلى حالات من القلق والهلع.
بتول شابة من مدينة حلب، قالت إن الفضول دفعها لمشاهدة المقاطع المصوّرة، "كنت أتابع الفيديوهات لأحاول فهم ما عاشوه، لكني لم أستطع المتابعة".
واجتاح بتول الغضب والحقد، وتساءلت "كيف يمكن لسوري أن يُلحق كل هذا الظلم بأخيه؟".
قالت بتول، إن صحتها النفسية تأثرت بشدة، "حتى جسدي أصبح ثقيلًا من المشاعر السلبية"، وتوقفت عن المشاهدة لتجنب المزيد من الألم.

"الصدمة والقلق"

الاستشاري الحراكي ذكر لعنب بلدي أن هذه المشاهد تنقل صورًا مرعبة وغير مألوفة للذاكرة تجعلها عاجزة عن معالجتها بسهولة، ما يؤثر على وظائف الإنسان اليومية، ويصل في بعض الحالات إلى تعطيل وظيفي، حيث يعجز البعض عن أداء مهامهم اليومية الأساسية، مثل تعطل الأب عن العمل أو عجز الأم عن أداء واجباتها الأسرية.
وأضاف أن الأشخاص الحساسين أو من لديهم ذكريات صادمة يكونون الأكثر تأثرًا، وتتجدد لديهم مشاعر الصدمة والقلق، ما يؤدي إلى تدهور في حالتهم المزاجية.
وبعض الأفراد يصابون بحالة من الحزن الشديد أو مشاعر العجز التي تسيطر عليهم لفترات طويلة، بحسب الحراكي.

"عقدة الناجي" تلازم بعض السوريين

فاطمة، من مدينة حمص، قرأت عن الفظائع في السجون قبل أن تشاهد الفيديوهات، وقالت إن "المعرفة بما حدث كانت كافية لإصابتي بالاكتئاب، فما بالك بالمشاهدة المباشرة. كانت تجربة قاسية جدًا، ورغم الفرحة بانتصار الثورة، فإنها دائمًا ما كانت مشوبة بمشاهد القسوة التي عاناها المعتقلون".
استشاري الطب النفسي يرى أن هذه الفيديوهات، رغم أهميتها كأدلة جنائية وقانونية توثق الجرائم المرتكبة ضد الإنسانية، فإنها "تثقل الذاكرة وتؤثر على تصورات الإنسان ومعتقداته".
وبحسب الحراكي، فإن بعض الأشخاص يدخلون في حالة تُعرف بـ"عقدة الناجي"، حيث يشعرون بالذنب لأنهم لم يعانوا نفس المصير الذي تعرض له الضحايا.
كذلك، "تهتز المعتقدات" الراسخة لدى البعض بسبب التساؤلات العميقة عن العدالة الإلهية أو الإنسانية.
وتعرف "عقدة الناجي" بأنها حالة نفسية تصيب الأشخاص الذين نجوا من مواقف صعبة أو كوارث مدمرة، مثل الحروب والإبادة الجماعية أو الكوارث الطبيعية.
ويشعر الناجون بالذنب تجاه بقائهم على قيد الحياة بينما فقد آخرون حياتهم، خاصة إذا كانوا يعرفون هؤلاء الأشخاص بشكل مباشر.
وتتجلى هذه الحالة في مشاعر حزن عميق، ولوم للذات، وحتى الإحساس بعدم استحقاق الحياة أو السعادة.
بالنسبة للسوريين، ومع امتداد الصراع لعقد من الزمن، أصبح مفهوم "عقدة الناجي" جزءًا من التجربة النفسية للكثيرين، فمع سقوط مئات الآلاف من الضحايا وفقدان آخرين تحت الأنقاض أو في السجون، وجد الناجون أنفسهم أمام واقع نفسي معقد.
يعيش بعض السوريين حياة خارج سوريا أو في مناطق أكثر أمانًا داخل البلاد، بينما لا يزال أحباؤهم وأصدقاؤهم يعانون أو فقدوا حياتهم.

المجتمع السوري في اتجاه واحد

على مستوى المجتمع السوري، يرى الحراكي أن لهذه المشاهد "تأثيرات مزدوجة"، وتأخذ الناس باتجاه واحد و"نحن الآن بهذا الاتجاه"، فمن جهة، تُرسخ هذه الصور "قناعة المجتمع بأن الثورة السورية كانت محقة"، وتؤدي إلى اصطفاف أوسع من السوريين ضد النظام "الوحشي"، بمن في ذلك من كانوا في موقف رمادي أو حتى مؤيدين سابقًا.
وقال إن هذه الفيديوهات "تقدم معلومة لكن لا داعي من ناحية أخرى أن نتابعها بتفاصيلها، نأخذ نبذة عنها فقط".
من جهة أخرى، يرى الحراكي أن هذه المشاهد كانت ستنشر مشاعر العجز والخوف بين شرائح واسعة من الشعب، لو أن النظام لم يسقط، والتسريبات من داخل السجون توحي برسالة ضمنية من السجّان مفادها "أي محاولة مشابهة ستواجه عواقب وخيمة".
وليد، شاب شهد الكثير من الروايات المؤلمة عن المعتقلين، قال إن "الفضول لمعرفة ما يجري داخل السجون كان دافعًا قويًا لمتابعة تلك الفيديوهات، حتى أظل متذكرًا ما فعله نظام الأسد".
ورغم ذلك، فإن متابعة تلك الفيديوهات لم تكن سهلة بالنسبة لوليد، "رأيت شهادات مباشرة عن أهوال السجون، شعرت بالعجز، والاكتئاب جعلني عاجزًا عن النوم، فتوقفت عن المشاهدة لفترة، لكن الفضول كان أقوى، أردت ألا أنسى الظلم، رغم الألم".
وأضاف، "عندما انتصرنا، كانت فرحتي منقوصة، لم أستطع أن أنسى أولئك الذين كانوا عالقين في ظلام الزنازين".
ويعتبر وليد أن الفيديوهات مهمة للتوثيق، ولإبقاء "الذاكرة حيّة"، كي لا ننسى الجرائم ولكي يُحاسب كل من أسهم في ظلم هؤلاء.

قال عبد الباسط لعنب بلدي، إنه كان يتابع ما آلت إليه قريته خلال هذه السنوات عبر "جوجل إيرث"، وقبل سنتين أظهرت الصور دمارًا في المنزل.
حاليًا لا يستطيع عبد الباسط إعادة بناء منزله، وسيبقى في منزل استأجره سابقًا حتى إيجاد حل لمسألة المنازل المدمرة، فهو لا يستطيع إعادة بنائه.
رائد المصري (40 عامًا) من قرية قبر فضة في سهل الغاب شمالي حماة، انتقل بعد سيطرة قوات النظام السابق على قريته عام 2015 ليعيش في مخيمات الشمال السوري مع أسرته المكونة من ثمانية أفراد، ولاحقًا انتقل إلى مدينة جنديرس بريف عفرين غربي حلب .
في 11 من كانون الأول الحالي، دخل رائد إلى قريته بعد طرد قوات النظام منها، ولديه نظرة مسبقة عن حجم الدمار نتيجة وصول مقاطع مصورة عن القرية تظهر أوضاعها خلال السنوات السابقة.
قال رائد لعنب بلدي، إنه عند وصوله إلى مكان منزله لم يعرفه بادئ الأمر، فقد تحول إلى كومة أحجار، وانهالت دموع رائد على منزله الذي قضى سنوات في بنائه .
وأوضح رائد أن منزله لم يدمر بفعل القصف بل على يد ميليشيات "الدفاع الوطني" الرديفة لقوات النظام السابق، كي لا يتمكن أهالي القرية من العودة والسكن في المنطقة.
لكن ما يواسي رائد هو أنه يستطيع الآن زراعة أرضه بعد غياب عشر سنوات.

دمار على الجغرافيا السورية

تعرضت المدن والبلدات الثائرة ضد نظام الأسد لدمار ممنهج، بدأ أولًا بحصارها وقصفها بمختلف أنواع الأسلحة، حتى إجبار الأهالي ومقاتلي المعارضة على الخروج.
بعدها تبدأ مرحلة أخرى من التدمير، بتفجير عدد من المنازل كعملية انتقامية، ثم دخول مجموعات مختصة بسرقة الأثاث، وأخرى لفك الكهرباء والمستلزمات الصحية والمطابخ والبلاط والسيراميك، والمرحلة الأخيرة استخراج الحديد من الأسقف.
في آذار 2019، نشر معهد الأمم المتحدة للبحث والتدريب (UNITAR) أطلسًا يبين مدى الدمار الذي لحق بالمحافظات والمدن سورية خلال الأعوام الثمانية الماضية .
الأرقام الصادرة عن المعهد لا تشمل كافة المباني المدمرة، وهي تعود للعام 2019، أي لا تشمل الدمار الذي خلفته العملية العسكرية لقوات النظام السابق وروسيا على محافظة إدلب وأرياف حماة وحلب بين نيسان 2019 وآذار 2020، وما تبعها من تدمير جراء عمليات "التعفيش".
واستند الأطلس إلى تحليل صور الأقمار الاصطناعية، وعرض خرائط تبين توزع الدمار وكثافته في 16 مدينة ومنطقة سورية، شهدت أكبر نسبة دمار.
بحسب البحث الأممي، شهدت محافظة حلب أكبر نسبة دمار في سوريا، بوجود 4773 مبنى مدمرًا كليًا، و14680 مبنى مدمرًا بشكل بالغ، و16269 بشكل جزئي، ليبلغ مجموع المباني المتضررة 35722.
وفي محافظة إدلب شمال غربي سوريا، بلغ عدد المباني المدمرة كليًا 311، و418 مبنى مدمرًا بشكل بالغ، و686 بشكل جزئي، ليكون مجموع المباني المتضررة 1415.
ويشير البحث إلى وجود 3326 مبنى مدمرًا كليًا في محافظة الرقة، و3962 مبنى مدمرًا بشكل بالغ، و5493 بشكل جزئي، ليكون مجموع المباني المتضررة 12781.
أما في محافظة دير الزور فيوجد 1161 مبنى مدمرًا كليًا، و2370 بشكل بالغ، و2874 بشكل جزئي، وبلغ مجموع المباني المتضررة في المحافظة 6405.
رصد التقرير وجود 9459 مبنى مدمرًا كليًا في محافظة حماة، و404 مبانٍ مدمرة بشكل بالغ، و666 بشكل جزئي، ليكون المجموع 10529 مبنى متضررًا.
وفي محافظة حمص يوجد 3082 مبنى مدمرًا كليًا، و5750 مدمرًا بشكل بالغ، و4946 بشكل جزئي، وبلغ مجموع المباني المتضررة 13778.
بلغ عدد المباني المدمرة كليًا في غوطة دمشق الشرقية 9353 مبنى، بالإضافة إلى 13661 مبنى مدمرًا بشكل بالغ، و11122 بشكل جزئي، حيث بلغ مجموع المباني المتضررة 34136.
أما منطقة مخيم "اليرموك" والحجر الأسود، جنوبي دمشق، ففيها 2109 مبانٍ مدمرة كليًا، و1765 مبنى مدمرًا بشكل بالغ، و1615 بشكل جزئي، ليكون مجموع المباني المتضررة 5489.
وفي مدينة الزبداني بريف دمشق يوجد 659 مبنى مدمرًا كليًا، و1251 مبنى مدمرًا بشكل بالغ، و1454 بشكل جزئي، حيث بلغ مجموع المباني المتضررة 3364.
بلغ عدد المباني المتضررة كليًا في محافظة درعا، جنوبي سوريا، 224 مبنى مدمرًا، بالإضافة إلى وجود 498 مبنى مدمرًا بشكل بالغ، و781 بشكل جزئي، حيث بلغ مجموع المباني المتضررة 1503.

تحفيز لكن بحذر

نصح الدكتور الحراكي بضرورة التعامل مع هذه الفيديوهات بحذر، مشددًا على أهمية استخدامها كأداة لتحفيز الهمة والنشاط لخدمة المجتمع، وليس لمجرد الفضول أو الإثارة.
أكد الطبيب النفسي أن المعلومات مهمة جدًا للعقل ليتأكد يقينًا أن الفساد والظلم لا يمكن السكوت عنه.
كما شدد على أهمية أن تكون هذه المشاهد دافعًا للتمسك بمبادئ العدالة ورفض الظلم والفساد، خاصة في مرحلة ما بعد سقوط النظام وانتصار الثورة السورية.
ولفت إلى أن المعلومات المستمدة من هذه الفيديوهات "يجب أن تُوظف لبناء مجتمع سوري أقوى، يرفض الظلم ويعمل على منع تكرار هذه المآسي".
ووفق تقرير بعنوان "تأثير الصراع السوري" الصادر عن "المركز السوري لبحوث السياسات" في عام 2020، فإن تفاقم الظلم هو السبب الجذري للصراع السوري، وكذلك الإقصاء السياسي وانتهاكات الحقوق المدنية، كما أدى الافتقار إلى المساءلة واستخدام القوة إلى "تآكل صوت المواطنين وتمثيلهم".
وتشير التقديرات العلمية إلى أن نحو 10% من سكان العالم يعانون أحد أشكال الاضطرابات النفسية.
ووفق منظمة الصحة العالمية، يعاني 5% من البالغين حول العالم من الاكتئاب الذي يعد اضطرابًا نفسيًا شائعًا.
فيما أشار تقرير لمنظمة الصحة العالمية صدر في 2020، إلى أن 75% من الأشخاص في سوريا يعانون من أمراض نفسية ولا يتلقون أي علاج.
وبحسب دراسة أصدرتها منظمة الصحة العالمية ومجلة "لانسيت" الطبية في عام 2019، حول الصحة العقلية في المناطق المتأثرة بالنزاعات، فإن شخصًا واحدًا من بين كل خمسة أشخاص ممن يعيشون في مناطق متأثرة بالنزاعات يعاني أحد أشكال الاضطراب النفسي، بما فيها القلق والاكتئاب والفصام.

امرأتان في سجن صيدنايا في سوريا بعد سقوط النظام السوري(حيان جنباز/عنب بلدي)

الهوية السورية..
ساعة المنعطف التاريخي

أحمد عسيلي

لكل شعب من شعوب العالم هوية محددة، غالبًا متخيلة، شكّلها هذا الشعب عن ذاته، يُلصق بهذه الهوية في مرحلة لاحقة، مجموعة من الأفكار، التي تشكّلها بقية الشعوب أيضًا عن هذا الشعب، والتي تتحول مع الزمن إلى "كليشيه"، أي أفكار نمطية حول هذه المجموعة من الناس، قد لا تكون صحيحة كلها، بعضها مبالغ به، بل أحيانًا تكون معكوسة، لكنها تعكس تهيؤات بقية الأمم عن هذا الشعب، وفي كثير من الأحيان يصعب تغيير هذه التصورات لأننا لا نرغب في تغييرها، أو لأن تغييرها قد يسبب لنا اضطرابات في هويتنا ذاتها.
ربما أشيع مثال عن ذلك، هو وصف بعض المتطرفين في بعض الدول العربية لشعوب الخليج بأنهم "عربان ومتخلفون"، مع أن التطورات التي حدثت في هذه البلدان شيء مذهل، وتدل على عقلية فذة، ليس فقط على مستوى العمران، بل في التنظيم والإدارة، مما يدل على إرادة وعمل دؤوب، لكن تغيير هذه الفكرة، سيلحق بها إجبار المتطرفين على القبول بحالة التردي التي وصلت إليها بلدانهم، وأنهم لم يعودوا مركزًا للثقافة العربية، وهو ما لا يمكن تحمله لدى البعض.
أيضًا من الأفكار النمطية، دقة الغربيين في الالتزام بالمواعيد في كل مناحي الحياة، هي فكرة نمطية غير موجودة، فإلغاء مواعيد القطارات والمترو وتأخره، حتى في المطارات، شيء لافت في دول الغرب، حتى في أكثرها تطورًا كدولة مثل كندا، لكن هذه الفكرة عززت كي نعتقد أن الغربيين كائنات فوق بشرية، وبالتالي فإن ديمقراطيتهم وتحضرهم بعيد المنال عنا نحن "الشعوب المتخلفة".
تلعب تصورات المجتمع عن ذاته نفس الدور الذي تلعبه تلك التصورات عند الإنسان، فحين تزيد الثقة في النفس والقدرات لدى الطفل، ستخلق لنا إنسانًا ناجحًا ومستقرًا نفسيًا، وقوي الشخصية، والعكس بالعكس، لذلك فإن أهم مبادى وأسس التربية، عدم وصف الطفل بالفاشل والغبي، فتكرار هذا الوصف أمام سمعه، سيشكل عاملًا قاتلًا لكل مواهبه وقدراته، لأننا هنا ساعدنا على تشكيل تصور سلبي لهذا الطفل عن ذاته، وبالتالي سيصعب عليه كثيرًا التغلب على مصاعب الحياة لاحقًا، هذا الأمر يؤثر في الشاب أيضًا، لكن بدرجة أقل، خاصة لمن تشكلت شخصيته سابقًا وامتلك ثقة بالنفس، حينها يصعب تدمير هذه الثقة (لكنها ستتأثر في حالة التكرار والفشل لو حدث)، بنفس الآلية، تلعب صور المجتمع عن ذاته، سواء في أعينه أو أعين غيره، دورًا كبيرًا في الحالة العامة لهذا المجتمع، وقدراته على التغلب على المصاعب التي تواجهه.
والسؤال الآن: ما صورة المجتمع السوري عن ذاته؟
أعتذر هنا مقدمًا عما سأذكره، لكنّ جملًا مثل "شعب متخلف"، "أناني"، "خمول"، "ما بيمشي إلا بالعصا"، شكّلت لسنين طويلة تصور المجتمع السوري عن ذاته، رغم كل الأدلة العملية تؤيد عكس ذلك، لكن دومًا كانت هناك ماكينة إعلامية تلعب دورًا كبيرًا في احتفاظ هذا المجتمع بهذا التصور، كي تضعفه وتشل قدرته على الحركة، فالسوريون حين لجؤوا إلى مصر، شكّلوا حركة تجارية وصناعية قوية، بدأ معظمهم من الصفر، وانطلقوا ليؤسسوا أعمالًا مستقرة، واستطاعوا تأسيس علاقات قوية مع هذا المجتمع (وهو بدوره قابل لهذه العلاقات وأظهر انفتاحًا على هذا القادم الجديد)، وحتى في ألمانيا، استطاع السوريون تشكيل مجتمع ووجود قوي. طبعًا هناك الكثير من المجتمعات التي حققت النجاح ذاته، ولا أتحدث هنا أبدًا عن فروقات وتفضيل، لكن عن صورة المجتمع في مرآة ذاته، وهذا النجاح لم يكن تجاريًا فقط، بل وسياسيًا أيضًا، فالكثير من السوريين أسهموا في الحراك السياسي والحزبي في بلدان اللجوء، واستطاعوا التأثير في مجتمعاتهم الجديدة، لكن رغم ذلك، لم تتغير هذه الصورة بأنه مجتمع فاشل، وغير قادر على بناء الدول والمؤسسات، وأنه بحاجة دومًا لغيره كي يستطيع إدارة شؤون ذاته.
ثم جاء التحرير، وإسقاط نظام الأسد، تحرير جاء بيد وطنية تمامًا، من أعلى هرم قيادات الجيش حتى قاعدته (لم نرَ عناصر غير سوريين إلا في بعض صفحات بروباغندا النظام) وحتى الفريق الإعلامي المرافق له، كلهم سوريون تمامًا.
وفي اللحظة الأهم، والأكثر صعوبة في أي تغيير ثوري، في الأيام الأولى لما بعد السقوط ولحظة الفراغ في السلطة، ظهرت قدرات وإمكانيات رهيبة، من القدرة على حفظ السلم، ونشر عناصر الجيش والشرطة الجديدة لتحل محل العناصر القديمة، والقدرة على الاحتفاظ بمن يمكن الاحتفاظ به من النظام السابق، وشغل مكان من لا يمكن الاحتفاظ به، وأيضًا طريقة تعامل بعض أتباع النظام السابق، خاصة رئيس الوزراء، مع التغيرات الجديدة، وطريقة تعامل المنتصرين معه أيضًا وتسليم الحكم بكل مسؤولية، ويضاف إلى ذلك طريقة مخاطبة مسؤولي الفصائل مع المجتمع المحلي، وطريقة تعامل كل مجتمع محلي مع النظام الجديد (ربما نخصص مادة لاحقة لدراسة أساليب الخطاب هذه، فهي لوحدها تشكل مادة خصبة لفهم العقلية السورية).
هذا الانتقال للسلطة يعكس رقي وإمكانيات كبيرة لدى الشعب، وربما لا يشذ عنه سوى طريقة الهروب اللامسؤولة لرأس النظام وبعض أعوانه (هم فعلًا حالة شاذة وغريبة على المجتمع السوري)، وقد بدا هذا الانتقال السلس وكأنه ناتج عن عملية ديمقراطية، وليس عن انتصار ثورة مسلحة حملت كل هذا العنف على مدار 13 سنة.
هذا كله لا ينفي حدوث بعض الأخطاء هنا وهناك، لكن الخطأ جزء من الفعل البشري، ولا يمكن تحقيق فعل مثالي 100%، ويبقى المشهد العام غاية في الرقي، ويعكس قدرات جبارة لم نكن نتصور أننا نمتلكها.
فهل يمكن بعد كل هذا أن نردد هذه الأقوال عن ذاتنا، بأننا مجتمع فاشل وغير قادر على بناء الدول والمؤسسات؟
انهيار الجيوش والمؤسسات وقيام الشعب بشكل سريع ببنائها ليس حالة نادرة في التاريخ، فمع انهيار الجيش النازي شهد المجتمع الألماني حالة مشابهة، وفعلًا حقق إنجازات جبارة، أيضًا في اليابان حدث نفس الأمر، لكن في الحالة السورية نتحدث عن حالة خاصة، وهي انهيار دولة قمعية مرتبطة بكل مؤسساتها بالنظام منذ أكثر من نصف قرن.
لا نعلم بالتأكيد ما ستؤول إليه الأمور، فالصعوبات كبيرة، والعوائق كثيرة داخليًا وخارجيًا، لكن لحظة التحرير ستبقى فارقة في الوجدان السوري، على قدرة هذا الشعب على تشغيل مؤسساته، والحفاظ على أمنه بعد انهيار نظامه الوحشي، الذي كان يروج أنه هو من يحمي الشعب من قتل بعضه البعض، وأن مخابراته العنيفة هي من تقف سدًا في وجه بشر متوحشين يريدون القيام بمجازر ضد بعضهم، ليكتشف الشعب لاحقًا أن المجازر هي أخلاق النظام وحده، وأن رغبة وإرادة بقية الناس هي في دولة مؤسسات.
لحظة الحقيقة تظهر أمام لحظات الانعطاف التاريخية، وحقيقة السوريين ظهرت في هذه اللحظة، وهي الهوية التي يجب أن يتمسك بها السوريون عن أنفسهم وذاتهم، ويجب طرد جميع بديهيات النظام التي حاول زرعها في أدمغتنا منذ عشرات السنين.

أبرزها مص الإصبع..
سلوكيات خاطئة يمارسها الأطفال

عنب بلدي – سماح علوش

يسيطر شعور الخوف والتوتر على الطفلة أسيل (6 سنوات)، خشية أن يراها أحد والديها عندما تمص إصبع إبهامها، وهي عادة سيئة تمارسها منذ عدة سنوات.

تتوقف أسيل القاطنة مع عائلتها في مدينة إدلب عن ممارسة هذه العادة عندما يراها أحد ما، وتشعر بالخجل من نفسها.

حاولت والدتها أن تمنعها عن تكرار هذا السلوك بشتى الطرق، سواء بالترغيب وذكر أضرارها على أسنانها، أو الترهيب والمعاقبة لكن دون جدوى، إذ إنها تمارس هذه العادة عندما تشاهد التلفاز أو عند النوم بعيدًا عن أعين والديها، كي لا تعاقَب.

يكتسب الأطفال خلال مراحل نموهم وتطورهم العاطفي والاجتماعي العديد من السلوكيات السيئة التي تضر بصحتهم بالدرجة الأولى، وتعرضهم للتنمر والسخرية من أقرانهم، وتسبب لهم أذى نفسيًا إذا تفاقم الوضع، ويغفل بعض الأهالي عن مدى خطورتها في حال عدم القدرة على إيجاد حلول مناسبة للتخلص منها بشكل نهائي.

سلوكيات في المدرسة

تلعب المدرسة دورًا لا يستهان به في التربية والإرشاد النفسي، وخصوصًا للأطفال في مرحلة التعليم الابتدائي كونهم الفئة الهشة في طور النمو، ومن السهل اكتسابهم عادات وسلوكيات يجهلون أضرارها.

قالت السيدة بيان، وهي معلمة أسيل في المدرسة، إنها تحاول دائمًا إشغال الطالب، وصرف نظره عن أي سلوك خاطئ يمكن أن يسبب له أذى جسديًا أو نفسيًا.

وأضافت لعنب بلدي أن الطفل يشرد في بعض الأحيان، ويسرح بخياله وهنا يقع بفخ هذه السلوكيات.

وتصادف المعلمات حالات مشابهة للطفلة أسيل، إذ أوضحت المعلمة لبنى العاملة في إحدى مدارس مدينة إدلب، أن الأطفال يكتسبون عادات سيئة من أقرانهم في الصف.

وقالت لعنب بلدي، إن لديها طالبة في الصف الأول كلما غضبت أو شعرت بالتوتر، تقوم بالصراخ وشد شعرها تعبيرًا عن استيائها، والمشكلة الكبرى أن زميلتها في المقعد تأثرت بها، وتحاول محاكاة ذات السلوك، علها تفرغ الطاقة الناتجة عن الغضب.

وتابعت أن هناك حالات أخرى كقضم الأظافر أو طقطقة الأصابع عند شعور الطفل بالقلق أو التوتر، إذ يعبر بسلوك غير صحي عمّا يفكر به، ويعتبر "حصر البول" السلوك الأكثر ضررًا بين تلك العادات، لما يسببه من أذى نفسي وصحي على حياة الطفل.

أسباب شخصية ومجتمعية

حول الأسباب التي تدفع الأطفال لممارسة سلوكيات خاطئة، أوضح مدير مركز "LOVAAS" لاضطرابات الأطفال، مصطفى العيسى، أنه لا يمكن إطلاق أسباب عامة، لاختلاف مسببات هذا السلوك من طفل لآخر.

وعلى سبيل المثال، ذكر العيسى كلامًا لطبيب الأمراض النفسية خوسيه بيدريرا، أنه "في حال استمر الطفل في مص إصبعه إلى حين بلوغه سن السابعة أو الثامنة، فإن النمو العاطفي وعلاقاته في هذه الحالة لا تتوافق مع سنه".

أما عن نفس السلوك من ناحية أخرى، فقد يكون أحد أسبابه الشرود عند طفل في الصف الثاني مثلًا نتيجة فروق فردية مع زملائه، وكذلك شدة المعلم غير المتناسبة مع شخصيته الضعيفة التي تتعرض للتعنيف، أو أنه يعاني من اضطراب كرب ما بعد الصدمة (PTSD) نتيجة الأزمات التي مرّ بها هذا الطفل، وفق العيسى.

وأضاف العيسى أنه يمكن القول إن مص الإصبع عند طفل بعمر خمس سنوات، مع ضعف في اللغة وسلوكيات نمطية، قد يكون مؤشرًا كبيرًا على اضطراب طيف التوحد.

وقد يكون في أفضل الأحوال عادة يمارسها الطفل دون سبب ناشئ منذ الصغر، وأسهم في تعزيزها الأهل والمجتمع، رغم أن الحالة النفسية للطفل مستقرة وجيدة، بحسب العيسى.

وبشكل عام، ربما تكون لدى الطفل مشكلات عاطفية أو نفسية أو جسدية أو اجتماعية أوغيرها، لا يمكن تحديدها بشكل مطلق، ويمكن ذكرها على سبيل الذكر لا الحصر، فلكل سلوك ولكل طفل ولكل شخصية مثيرات تدفعه لفعل هذا السلوك دون غيره.

ولكل سلوك خاطئ تأثيرات مختلفة عن الآخر، فمص الإصبع يسبب من الناحية الفيزيولوجية مشكلات في الفك والحنك والأسنان، والتبول اللاإرادي يسبب ضررًا نفسيًا كبيرًا للطفل، ويؤدي به إلى تغيير في تكوين شخصيته، ويسبب له الانعزال أو الخجل أو الانطواء وربما الانسحاب الاجتماعي.

وأضاف العيسى أن الأضرار المترتبة تقاس بشدة السلوك وتكراره ونتائجه ومسبباته بتناسب طردي، فكلما ازدادت شدة السلوك وتكرر، كانت نتائجه أكثر شدة على الطفل.

حلول ومقترحات

"أبي ضربني وصرت رجال"، قال العيسى لعنب بلدي، إن هذه العبارة التي يكررها بعض الآباء كتبرير ضربهم لأبنائهم، ستترك تغيرات في شخصية الطفل، فإما سيكون مثل المثال السابق شخصية قاسية جدًا على أطفاله، أو سيغير فيها ويصبح شخصية سمعية هادئة تميل إلى عدم تكوين صداقات، وربما يصبح شخصية حسية تصل سلوكياتها إلى درجة الرهاب والخوف والبكاء عندما يرى طفلًا يُضرب.

وأوضح أنه لا يمكن تعميم الأسباب والنتائج إلا بعد تشخيص وتقييم وقياس سلوك كل طفل دون الآخر، وأن يبدأ المختص بالتسلسل المطلوب بداية من الأسباب الفيزيولوجية، فمثلًا ليست هناك مشكلات بولية عند طفل ما تسببت بتبول لا إرادي، وعند نفيها يعمل على تشخيص الأسباب وتقييم السلوك وقياسه ثم اختيار البرنامج المناسب لكل طفل، إن كان تعديل السلوك أو تحليل السلوك أو برامج المهارات.

وبشكل عام، فإن التعامل مع الطفل يجب أن يؤخذ بعين الرأفة والرحمة والإحسان والعدل، فكما لا نضرب ربّ الأسرة عندما يسكب الماء على السجاد وهو الأوعى والأعقل والأكبر والأكثر مهارة والأشد قوة في بيته، فالأولى أن ندرب الطفل ونعلمه بدلًا من معاقبته فيستقر نفسيًا، ولا يميل إلى ممارسة سلوكيات خاطئة.

وتركت سنوات الحرب في سوريا منذ عام 2011 ندوبًا نفسية لدى الأطفال السوريين، وفي عام 2021، أظهر ثلث الأطفال في سوريا علامات الاضطراب النفسي، بما في ذلك القلق والحزن والتعب أو اضطرابات النوم المتكررة، وفق منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسف).

منظمة "أنقذوا الأطفال" قالت إن الأطفال في سوريا نشؤوا دون أن يعرفوا شيئًا سوى الصراع والنزوح، بعد مرور ما يقرب من 14 عامًا من الصراع.

وذكرت أن الأطفال شهدوا وعانوا من العنف الشديد وعانوا من فقدان أحبائهم، معتبرة أن الوضع هش والاحتياجات الإنسانية للأطفال وصلت بالفعل إلى مستويات قياسية، وهم بحاجة إلى الدعم أكثر من أي وقت مضى.

ووفقًا لتقرير "يونيسف"، الصادر في 24 من كانون الثاني الماضي، بمناسبة اليوم الدولي للتعليم، فإن نحو 2.4 مليون طفل خارج المدرسة في سوريا، تتراوح أعمارهم بين 5 و17 عامًا.

وأضافت المنظمة أن الإحصائية شملت جميع مناطق سوريا، ويمثل عدد الأطفال خارج المدرسة نحو نصف عدد الأطفال في سن الدراسة، البالغ عددهم 5.52 مليون طفل .

أخطاء يجب تجنبها عند تناول فيتامين "D"

يعاني العديد من الأشخاص من انخفاض مستويات فيتامين "D" خاصة في فصل الشتاء، لذا ينصح بتناول الفيتامين على شكل مكملات غذائية.

مع تناول هذه المكملات قد يقوم الأشخاص بعدة أخطاء يمكن أن تمنع الاستفادة من الفيتامين بالشكل الأمثل، أو تعرضهم لخطر تناول جرعة زائدة.

يمكن للجسم أن يمتص الكثير من فيتامين "D" من خلال الجلد، إذ يغطي التعرض المباشر لأشعة الشمس حاجة الجسم من الفيتامين، وقد يكون تعرض الوجه والذراعين والساقين للشمس لمدة تتراوح بين 5 و30 دقيقة مرتين إلى ثلاث مرات في الأسبوع كافيًا لتلبية احتياجات الجسم من الفيتامين.

وفي حالات صحية معينة من المستحسن أن يتناول بعض الأشخاص مكملات فيتامين "D".

موقع "VITAL" الألماني الطبي المتخصص، لخص في تقرير له أبرز الأخطاء التي يرتكبها الأشخاص عند تناول فيتامين "D":

1. يجب ألا تستهلك أكثر من 100 ميكروغرام (4000 وحدة دولية) من فيتامين "D" يوميًا. في حال تناول جرعة زائدة يمكن أن تحدث مشكلات صحية، تتمثل بالصداع والغثيان وفقدان الشهية والقيء والإمساك وانخفاض قوة العضلات. في حالات أسوأ قد يكون هناك خطر تكلس الكلى وانخفاض وظائفها.
2. يجب تناول فيتامين "D" مع فيتامين "K2" إذ يدعم هذا دمج الكالسيوم في العظام.
3. تدعيم مستويات المغنيسيوم، يحتاج من يعانون من نقص فيتامين "D" لتناول المغنيسيوم أيضًا لتنشيط عمل الفيتامين في الجسم.
4. لا يجب تناول فيتامين "D" على معدة فارغة، إذ يجب دائمًا الجمع بين الفيتامينات التي تذوب في الدهون والطعام.
5. من الناحية المثالية يجب تناول فيتامين "D" في الصباح، إذ يعد أحد الفيتامينات المنشطة التي تزيد من الطاقة في الجسم.
6. في حال تناول فيتامين "D" مع أدوية أخرى يجب التفكير في التفاعل الذي قد يحدث، لذا من الضروري استشارة الطبيب المختص لتحديد التوقيت والجرعة المناسبة لتناول الدواء في هذه الحالة.
7. لا تتناول مكملات قديمة، يحتوي فيتامين "D" على الفيتامينات القابلة للذوبان في الدهون، والتي يمكن أن تصبح فاسدة مع مرور الوقت. يمكن استخدام الدواء لمدة شهرين كأقصى حد إذا تم تخزينه بشكل جيد.
8. تناول الفيتامين بشكل غير منتظم، يجب التأكد من تزويد الجسم بالفيتامين بانتظام لتجنب التقلبات، وفي المرة التي يتم فيها نسيان تناول الجرعة خلال اليوم لا يجب تناولها في اليوم التالي.
9. لا يجب تناول فيتامين "D" في نفس الوقت مع أقراص الحديد لأنه يمكن أن يمنع امتصاص الحديد، وبالتالي يؤدي إلى نقصه.

تقنية بالذكاء الاصطناعي لكشف سمات الأشخاص من أصواتهم

أطلقت شركة "كيوس" (Koios) المتخصصة في تقنيات الذكاء الاصطناعي آلية مبتكرة لتحليل الشخصية من خلال مقاطع صوتية قصيرة لا تتجاوز 90 ثانية.

ووفق ما ذكرته صحيفة "تلغراف" البريطانية، في 17 من كانون الأول الحالي، تعتمد التقنية الجديدة على تحليل الإشارات الصوتية ومحتوى الكلمات، لتقديم تقييم دقيق للجوانب المختلفة للشخصية، مع إمكانية توظيفها مستقبلًا في مجالات متعددة مثل تطوير استراتيجيات البيع.

كيف تعمل التقنية

تُصنف التقنية الجديدة سمات الشخصية إلى خمس فئات (العصابية، التوافق، الانفتاح، الضمير، الانبساط)، وتظهر كنسبة مئوية للمستخدم.

بحسب "تلغراف"، فإن العصابية والتوافق هما الأسهل للكشف عنهما من خلال الصوت، وتظهر العصابية من خلال نبرة قلقة أو مرتفعة، بينما يعتمد تحليل التوافق على محتوى الكلمات أكثر من النبرة.

تفتح هذه التقنية آفاقًا جديدة أمام المديرين وخبراء الموارد البشرية والمبيعات أيضًا، إذ يمكن استخدامها لتحسين أساليب التواصل وتخصيصها وفقًا لشخصية المتلقي.

على سبيل المثال، يمكن لبائع ما تعديل أسلوبه مع العميل بناء على التحليل الصوتي، أو من الممكن أن يستعين المدير بهذه التقنية لاختيار طريقة إدارة فعّالة لفريقه.

قال أحد مطوري التقنية مارتن لوكاش للصحيفة البريطانية، إنها تهدف إلى "تقديم تقييمات دقيقة بشكل اتجاهي للشخصية، ما يقلل من الوقت المطلوب لفهم شخص ما بشكل عميق، ويساعد الفرق على تحسين أدائها بشكل أسرع".

خضعت هذه الأداة للاختبار باستخدام مقاطع صوتية لأكثر من 2000 شخص، وأظهرت النتائج دقة قريبة من الاختبارات التقليدية، وفقًا للصحيفة.

ما الذكاء الاصطناعي

الذكاء الاصطناعي (AI)، هو مجال علمي وتقني يهدف إلى تطوير أنظمة وبرامج قادرة على محاكاة القدرات العقلية البشرية، مثل التعلم والتفكير والتحليل وحل المشكلات.

ظهر مفهوم الذكاء الاصطناعي لأول مرة في خمسينيات القرن الماضي، واستُخدم المصطلح رسميًا خلال مؤتمر عقدته جامعة "دارتموث" في صيف عام 1956، والذي شكل نقطة انطلاق لهذا المجال التقني.

يعتمد "AI" على تقنيات متقدمة مثل التعلم الآلي (Machine Learning)، والتعلم العميق (Deep Learning)، ومعالجة اللغة الطبيعية (Natural Language Processing)، والتي تتيح للأنظمة القدرة على تحسين أدائها بمرور الوقت من خلال البيانات والتجارب.

ويُستخدم في العديد من المجالات، بما في ذلك الصحة والتعليم والنقل والصناعة، إلا أنه يثير أيضًا تساؤلات حول أخلاقيات استخدامه، وتأثيره على سوق العمل والخصوصية.

سينما

فيلم "وينن".. عن جرح المفقودين تحت حكم عائلة الأسد

يتناول الفيلم اللبناني "وينن"، الصادر عام 2013، قضية حاضرة في حياة اللبنانيين والسوريين على حد سواء منذ عقود من الزمن، مع اختلافات طفيفة في السياقات ربما، إذ يركّز العمل كليًا على قضية المفقودين خلال الحرب.

تدور الأحداث حول حياة عائلة فقدت ستة من أبنائها، ولا تعلم شيئًا عن مصيرهم إثر اختفائهم وتغييبهم خلال الحرب الأهلية في لبنان، لتجتمع العائلة بعد نحو عقدين من غياب الإخوة الستة وتتباحث في مسألة بيع منزلهم الذي يضم ذكرياتهم وحياتهم الماضية التي تشاركوها مع الغائبين.

تتقاطع هذه الجزئية مع الواقع السوري على مدار العقود الماضية على اعتبار أن الجاني وباعث المعاناة في القضيتين والبلدين واحد، نظام الأسدين، الأب والابن، فاللبنانيون يشيرون صراحة إلى دور هذا النظام في معاناتهم وتعطشهم الدائم لمعرفة مصير ذويهم من المفقودين بالآلاف، الذين طواهم الفقد خلال الحرب الأهلية اللبنانية التي امتدت بين نيسان 1975 وتشرين الأول 1990، وشهدت في عامها الثاني دخول "الجيش السوري" إلى لبنان، وبقاءه على أراضيها حاكمًا وآمرًا وناهيًا حتى انسحابه عام 2005، مرغمًا.

وإذا كانت هذه الفترة من تاريخ لبنان غنية بالمعاناة، فإن آثار هذه المعاناة لا تزال مستمرة، والمفقودون ما زالوا مجهولي المصير، حتى بعد تحطيم أقفال سجون نظام الأسد المخلوع، الذي بدأت المعاناة خلال حكم والده وترسخت خلال حكمه، وهو ما عزز معاناة ذوي المعتقلين في سوريا ولبنان معًا.

العائلات اللبنانية تبحث منذ عقود عن آلاف من أبنائها، والسوريون منذ عقود في الحالة ذاتها، بعدما وثقت سنوات الثورة على حكم بشار الأسد أكثر من مئة ألف معتقل، لم يعودا بالكامل بعد فتح أبواب الزنازين.

ورغم غياب الإحصائيات الرسمية حول المختفين قسرًا في سوريا بعد سقوط الأسد، وأعداد الخارجين من المعتقلين، فإن محاربة الأهالي لليأس، وإلصاق صور المفقودين في الطرقات، والبحث المستمر بشتى السبل، واكتشاف المقابر الجماعية، وسجلات بأسماء الضحايا، وخروج معتقلين من جنسيات مختلفة، بما فيها لبنان، يقول الكثير حول طغيان نظام الأسد من جهة، وحجم الغياب والفقد الذي تعانيه العائلات التي أحيا إسقاط الأسد آمالها بعودة الغائبين.

وإذا كان انتظار اللبنانيين دون بصيص أمل مستمرًا منذ سبعينيات القرن الماضي، فإن الكثير من السوريين مفقودون منذ ثمانينيات ذلك القرن، بعدما غيّبهم حافظ الأسد، لتخرج مؤخرًا قلة قليلة ممن قضوا أكثر من 40 عامًا في زنازين دخلوها شبابًا، وخرجوا منها في سن الشيخوخة.

فيلم "وينن" من تأليف جورج خباز، وإخراج كريم دكاش، وبطولة جورج خباز وندى أبو فرحات وديامان عبود وطلال الجردي وإيلي متري وتقلا شمعون، ومدته ساعة ونصف تقريبًا.

كتاب

"الموتى لا يلقون النكات" خسائر لا تنتهي في عهد الأسد المخلوع

تعتبر رواية "الموتى لا يلقون النكات" واحدة من الأعمال الأدبية البارزة التي أضاءت على حقبة زمنية فارقة في حياة الشعب السوري منذ بداية القرن الـ21 ووصول بشار الأسد إلى السلطة بلا انتخابات بعد والده حافظ الأسد.

كاتب الرواية الصحفي حسين الزعبي، حرمه الموت من أن "يلقي النكات"، وهو ما فعله ملايين السوريين بعد سقوط النظام على الرغم من سنوات الألم والقهر، إذ توفي بمنفاه القسري بفرنسا، في 27 من تشرين الأول الماضي، بعد صراع مع المرض.

أحداث الرواية التي استعانت بقصة عاطفية حولتها إلى ممشى درامي لها أمعنت في الزمن وصولًا إلى الثورة السورية التي انطلقت عام 2011، وما رافقها من فتوحات وانتصارات عظيمة على نظام الأسد المخلوع، قبل العودة إلى دوامة الانكسارات والخسائر التي خرج السوريون منها مؤخرًا بتحقيق الهدف الأكبر للثورة المتمثل بإسقاط حكم الأسد.

استفاد الكاتب من مهنته الأصلية كصحفي في منح الأحداث بعدًا توثيقيًا وتسلسلًا تاريخيًا على لسان أبطاله، قبل الحديث عن الأسلوب الذي بدا مختلفًا كليًا عن بعض مفرزات القطاع الأدبي خلال الآونة الأخيرة، التي اتخذت من الثورة وسرد أحداثها أو محاولة توثيقها جواز عبور لاعتبار هذه الأعمال روايات أولًا، ولتحقيق رواج نسبي ثانيًا، بمعزل عن القيمة الأدبية، والبعد التوثيقي، وأسلوب الصياغة، طالما أن كثيرًا من هذه الأعمال لم تسلك مسار النشر الطبيعي المتعلق بالتحرير والتدقيق اللغوي، ما أتاح وصول أعمال "ناقصة" للجمهور، وهو ما تلافته "الموتى لا يلقون النكات".

تقدم الرواية أكثر من نموذج لخسائر لا تنتهي في عهد الأسد المخلوع، ونماذج لضحايا تعاطي نظام الأسد القمعي مع الثورة السورية، فأصلان مثلًا شاب غادر إلى مصر وتزوج شابة معارضة للنظام اسمها نايا، لكنها عادت إلى سوريا وتعرضت للاعتقال والتعذيب، وأصلان انتحر بعدما رمى نفسه في النيل.

أما فارس، فأصيب بالسرطان في الغربة وكتب رسائل لصديقته صوفي يشرح فيها الأوضاع في سوريا، وهو ما سخره الكاتب واختتم به الرواية، بينما نادر واحد من أبطاء الثورة الذين يعالجون الناس في المناطق الثائرة، قُتل خلال محاولة الخروج من إحدى المناطق.

اللغة في "الموتى لا يلقون النكات" بسيطة وقريبة من الناس وروح الحياة اليومية، وتتمتع بأسلوب ساخر، يقوم على الكوميديا السوداء، فرغم زخم المعاناة، لا تخلو من الطرافة، وروح النكتة والعمق، دون أن تلغي جانب التحريض على التأمل والتفكير في حتمية الموت والنهاية وجوانب إنسانية مأساوية مختلفة مقدمة بأسلوب مشوق.

كتب الرواية حسين الزعبي، وهو كاتب سوري من أبناء بلدة المسيفرة في محافظة درعا، جنوبي سوريا، وخريج قسم الصحافة في جامعة "دمشق"، وصدرت الرواية عام 2022، وعدد صفحاتها 237 صفحة.

	9	4		5		1		
	8		7	9				4
2			6					
3		6	8				9	
			2		1			
	4				6	2		7
					7			6
4				8	3		1	
		5		6		3	2	

لعبة تتكون من 9 مربعات كبيرة 3×3، و81 مربع صغير 9×9.
تكون بعض المربعات الصغيرة معبأة بالأرقام بدايةً، وعلى اللاعب إكمال باقي المربعات باستخدام الأرقام من 1 إلى 9، في كل واحدٍ من المربعات التسعة الكبيرة، وفي كل صفٍ أو عمود.

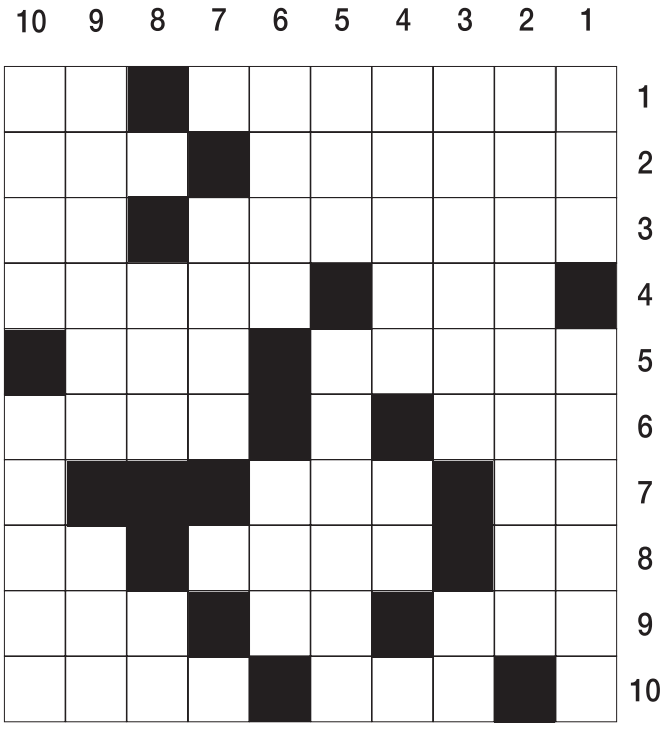

أفقي
1. يتوقف o مخترع المخرطة
2. عصفور جاء في اغنية لفيروز o الأرض الممتدة تحت القدمين
3. طريق مبني بين مكانين مرتفعين o سجن أميركي شهير اصبح مزارا للسياح ومعناه القصر
4. يمسح على جسمه الدهن وغيره o نصف سكون
5. نصف نورة o مكان ومخزن البيع o حيوان يعيش في الغابات وفي القارة القطبية الشمالية
6. مجموعة من الناس منتدبة لعمل ما o يترددن على مكان محدد
7. ما يخرجه الطائر من طعام بعد هضمه o متشابهان o أشار بعمل شيء ما
8. لسقي النبات o جزء من وحدة العملة الأميركية
9. الاسم الاول لمناضل وبطل الاستقلال في جنوب افريقيا – o مخترع التلفزيون
10. نصف مفرز o مخترع الكاميرا (معكوسة)

عمودي
1. مخترع الدراجة النارية الموتورسايكل
2. مخترع الآلة الكاتبة
3. مخترع خط انتاج السيارات o يوصف به العِرق البشري بمعنى أن له امتداد
4. هدم o الاسم الأول لممثل أفلام جيمس بوند سابق
5. مخترع قضيب منع خطر الصواعق o نصف ناقد
6. الاسم الأول لمخترع مكبر الصوت (الاسم الثاني ويرمر)
7. لقب ارستقراطي اوروبي o زرع خرج من الارض
8. اسم بندقية صيد معروف في الخليج العربي o مخترع المصعد الكهربائي
9. نصف طاقم o رقم (معكوسة) o سقيا الارض والزرع
10. مخترع السيارة الالماني o نصف داكن

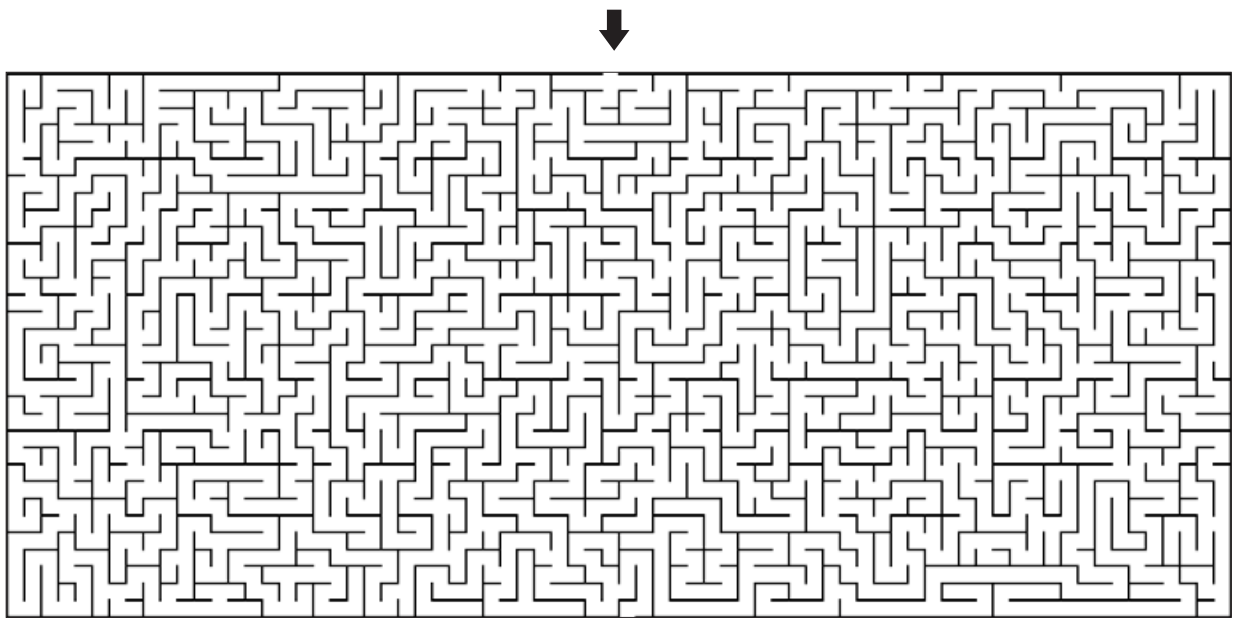

للمشاركة في تحرير صفحات "عنب بلدي" يمكنكم إرسال مشاركاتكم
عبر البريد الإلكتروني إلى editor@enabbaladi.org

الآراء الواردة في الجريدة لا تعبر بالضرورة عن رأي عنب بلدي

نكسة السيتي.. غواردیولا إلى أين؟

عروة قنواتي

تستفزك النتائج الأخيرة لنادي مانشستر سيتي في مختلف البطولات التي يشارك بها هذا الموسم، لا تدري ما الذي أصاب العمود الفقري للفريق في الملعب، هل فعلًا كانت الإصابة في العمود الفقري، أم في استعداد الفريق بشكل كامل؟
هل المشكلة بأن بيب غواردیولا لم يعد يستطيع قراءة المباريات والمنافسات كما هو مطلوب، أم أن أوراقه في الملعب قد أصيبت بتخمة التتويج والثناء؟
ملف مانشستر سيتي هذا الموسم لا يشبه أي موسم سابق منذ سنوات طويلة، ولم يكن بيب غواردیولا بهذا المستوى المتراجع مع سلسلة هزائم وانكسارات لم يعرفها ولا مع أي فريق دربه سابقًا لا في برشلونة ولا في البايرن ولا حتى في الموسم السابق مع السيتي .
يسألونك عن نجم "فرانس فوتبول" لهذا العام (رودري) المصاب، ويقولون إن خطة السيتي مع غواردیولا كانت تعتمد على وجود هذا النجم في الفريق، ومن ثم يقولون إن غياب دي بروين قد طال وهذا أسهم في تراجع منظومة خط الوسط لبعض المباريات.
عاد دي بروين، ورودري ما زال مصابًا، هل يعقل أن تكون كل الفرق التي تواجهت مع السيتي مكتملة الصفوف حتى تكون ثغرة الفريق بغياب نجم واحد هي المفضوحة والظاهرة، هذا لعمري غريب جدًا.
منذ 26 من تشرين الأول وحتى اليوم، ومنذ فوز السيتي على ساوثهامتون بهدف دون رد في البريميرليغ، خاض الفريق 12 مباراة في الدوري وكأس الرابطة ودوري الأبطال، حقق الفوز مرة واحدة وتعادل مرتين وهزم في 9 مواجهات، مسجلًا تراجعًا مخيفًا على سلم الترتيب، ليصل إلى المرتبة السادسة بـ27 نقطة مبتعدًا عن المتصدر ليفربول بفارق 10 نقاط قبل أن يخوض ليفربول لقاء الجولة الجديدة.
سجل الخصوم في شباك السيتي خلال 12 مباراة 27 هدفًا، بينما سجل لاعبو السيتي 14 هدفًا في شباك خصومهم. منذ متى يحصل السيتي على هذه الأرقام، وخصوصًا بعد الرعب الذي أطلقه في البطولات الإنجليزية المنوعة وسيادته على البريميرليغ في السنوات الأخيرة. ماذا حل بالفريق يا بيب؟
ويبدو بأن النادي سيكسر عادة مهمة بالنسبة له، وسيخوض في تجربة التعاقدات الشتوية مضطرًا لتدعيم بعض المراكز قبل عودة المنافسة في الشهر الأول من العام الجديد 2025.
وكشفت صحيفة "ديلي ميل" أن السيتي حدد ثلاثة مراكز للتدعيم في فترة الانتقالات الشتوية المقبلة، وذلك لسد ثغرات فريقه الفنية وتعديل المسار، ويبدو أنها الفرصة الأخيرة لبيب غواردیولا الذي لربما خسر السباق على صدارة البريميرليغ ويريد التعويض من خلال النسخة الجديدة لدوري أبطال أوروبا.
معظم من تابع وعرف مانشستر سيتي في عهد غواردیولا يعلم جيدًا أو يصل إلى مرحلة اليقين بأن مرحلة الإياب عند هذا المدرب تشهد انقلابًا جذريًا ومفاجئًا للخصوم، وخصوصًا عندما يكون متراجعًا على سلم الترتيب أو أن نتائجه لا تساعد على ترشيحه نحو لقب البريميرليغ، ولكن، يبقى لهذا الموسم شيء لم يكن يتوقعه أبرز وأقوى المتشائمين ولا حتى من يكره السيتي كرويًا ورياضيًا، إذ إن سلسلة الهزائم والنتائج المتراجعة أثقلت المشهد وجعلت باب الاستفسار والتساؤل مفتوحًا عبر الصحافة الإنجليزية والأوروبية. ماذا يحصل، إلى متى، ما الذي يجري؟
بالأمس خسر بيب ولاعبوه أمام أستون فيلا، وتبدو مباريات المراحل المضغوطة في الدوري الإنجليزي الذي صادف ما بين عطلة الأعياد وما بعد رأس السنة من النوع السهل الممتنع، والتي قد يرى فيها غواردیولا مع فريقه متنفسًا لحصد النقاط المطلوبة قبل أن يصل إلى حقل ألغام مدته شهر بين نهاية كانون الثاني ونهاية شباط، فيلاقي في الشامبيونزليغ باريس سان جيرمان وكلوب بروج، وفي البريميرليغ يواجه تشيلسي وأرسنال وليفربول وتوتنهام ونيوكاسل، لتكون لائحة المنافسة قد ظهرت بشكل أوضح، وعلى أي الجياد يراهن السيتي سيكون العنوان العريض.
ولربما يكون رصيد السيتي مع السيد بيب غواردیولا قد وصل حد النهاية، فيكون الوداع بلقب ونجمة ثانية على صدر أصحاب القمصان السماوية، فهل ستكون فعلًا أيام بيب الحالية هي الأخيرة برفقة السيتزن؟

أبرزها الدمج

تحديات بالجملة تنتظر إحياء الدوري السوري

من مباراة الجيش والكرامة على ملعب الباسل ضمن منافسات الدوري السوري- 2 تشرين الثاني 2024 (نادي الجيش)

عنب بلدي - هاني كرزي

واجه الدوري السوري لكرة القدم انتقادات كبيرة في عهد الأسد، لا سيما عقب انطلاق الثورة، إذ كان الفساد والواسطة والشغب الجماهيري سمة غالبة، وتراجع المستوى الفني لجميع الأندية، وعقب سقوط الأسد، يأمل عشاق الرياضة المحلية باتخاذ حلول جوهرية للنهوض بواقع الدوري السوري.

بعد اندلاع معركة "ردع العدوان" في 27 من تشرين الثاني الماضي، أعلن الاتحاد السوري لكرة القدم التابع للنظام المخلوع، تأجيل الدوري السوري الممتاز حتى إشعار آخر.

ونشر الاتحاد السوري عبر حسابه على "فيس بوك"، في 4 من كانون الأول الحالي، تعميمًا يقضي بتأجيل الدوري السوري الممتاز حتى إشعار آخر، بناء على الكتب الواردة من أغلبية أندية الدوري الممتاز لفئة الرجال، دون أن يحدد موعد استئنافه.

كما سبق أن أعلن الاتحاد السوري لكرة القدم، إقامة مباريات الدوري الممتاز لفئة الرجال من دون حضور جماهيري عقب زيادة حالات الشغب.

وتعاني الأندية في سوريا من ضائقة مالية، وقرر اتحاد الكرة عام 2022 تأجيل الدوري لجميع الدرجات والفئات العمرية (لكرة القدم، وكرة السلة)، بسبب الوضع الاقتصادي المتردي، ومن أجل تخفيف العبء المالي عن الأندية الرياضية.

ثلاثة دوريات

قبل سقوط نظام الأسد، كان يوجد دوري محلي في مناطق سيطرته، إضافة إلى دوري يضم أندية من إدلب وريف حلب الغربي ومن مهجري عدة محافظات، أما الدوري الثالث فيضم أندية من ريفي حلب الشمالي والشرقي.

ويضم دوري ريف حلب 12 ناديًا هي: الرواد، الميادين، صقور الفرات، الفتوة، الباب، مارع، اعزاز، قباسين، تل رفعت، بزاعة، أهلي السفيرة، أهلي عفرين.

ويتصدر نادي الرواد دوري ريف حلب بـ19 نقطة، يليه الميادين بـ14 نقطة، بينما يتذيل أهلي عفرين الترتيب بنقطة واحدة بعد مضي سبع جولات.

كما يضم الدوري السوري الذي كان ينشط في مناطق النظام السوري المخلوع 12 ناديًا هي: الفتوة، الوحدة، الكرامة، حطين، الجيش، الطليعة، الشعلة، جبلة، تشرين، الوثبة، أهلي حلب، الشرطة.

يتصدر نادي الكرامة جدول ترتيب الدوري السوري الممتاز برصيد 13 نقطة، وجاره الوثبة في المركز الثاني بـ8 نقاط، بينما يتذيل نادي الوحدة الدمشقي ترتيب الدوري السوري بلا نقاط، بعد مضي خمس جولات على انطلاق البطولة.

أما دوري إدلب فيضم عشرة أندية هي: أمية، حمص العدية، خان شيخون، عندان، تفتناز، سرمدا، أريحا، جبل الزاوية، القادسية، كللي.

ويتصدر نادي خان شيخون دوري إدلب بـ20 نقطة، يليه أمية في المركز الثاني بذات النقاط لكن يتخلف بفارق الأهداف، بينما يتذيل نادي كللي الترتيب بأربع نقاط بعد مضي تسع جولات.

معضلة دمج الدوريات

عقب سقوط النظام السوري، وجد القائمون على اتحاد كرة القدم أنفسهم أمام معضلة حقيقية، تتمثل في وجود ثلاثة دوريات محلية، وبالتالي يجب إيجاد آلية مثالية لدمجها في دوري واحد.

وقال الصحفي الرياضي أنس عمو، إن الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) يعترف بوجود دوري واحد فقط، وهو الدوري الذي كان قائمًا في مناطق النظام السوري المخلوع، أما الدوريان القائمان في الشمال السوري فغير معترف بهما من قبل "فيفا"، "وهنا نحن أمام معضلة لدمج الدوريات الثلاثة في دوري واحد، حيث يجب عقد جمعية عمومية بحضور جميع الأندية لتحديد شكل الدوري".

وأكد عمو لعنب بلدي، أن التغيير لا يمكن إجراؤه هذا الموسم، طالما أن الدوري قد بدأ، لذا يمكن للدوري السوري الرسمي أن يُكمل البطولة لنهاية الموسم، والحال نفسه بالنسبة للدوريين في الشمال السوري، ولكن المباريات فيهما ستكون بمثابة مواجهات ودية استعدادية.

ولفت عمو إلى أن الاتحاد السوري لكرة القدم يجب عليه أن يقوم بتسجيل الأندية واللاعبين لدى "فيفا"، لا سيما أندية الشمال السوري، ولكن السؤال الأهم كيف سيكون شكل الدوري في الموسم المقبل؟ هل تلعب أندية الشمال السوري في دوري الدرجتين الثالثة والرابعة، أم ستتم إعادة تصنيف الأندية من جديد ضمن تصفيات معينة لتحديد من سيلعب في الدوري الممتاز.

من جهته، يرى الصحفي الرياضي ميشيل سعد، أن الآلية الأفضل هي تشجيع عودة النشاط الرياضي لكل الأندية دون استثناء، ومن ثم استكمال هذه الدوريات كما هي بالنسبة للموسم الحالي.

وقال سعد لعنب بلدي، إنه بالنسبة للموسم المقبل، يجب زيادة عدد أندية الدوري الممتاز إلى 14 ناديًا بدل 12، وضم أندية القمة من الدوريات في الشمال إلى الدوري السوري الحالي المعترف عليه من "فيفا".

تحديات بالجملة

شهد الدوري السوري خلال المواسم الماضية مشكلات كثيرة، أبرزها فساد التحكيم، الذي أدى إلى التلاعب بنتائج المباريات، ما سبّب ظلمًا لكثير الأندية، دون فرض عقوبات صارمة من اتحاد كرة القدم.

كما شهدت الملاعب السورية حالات شغب متكررة، وكانت الجماهير تقوم بتكسير أثاث الملعب، أو النزول إلى أرضيته والتهجم على الحكم أو اللاعبين، دون تدخل من الأجهزة الأمنية، فضلًا عن إطلاق الشتائم للحكام.

الشغب لم يقتصر على الجماهير فقط بل تجاوزه إلى اللاعبين، إذ قام أكثر من لاعب في عدة مباريات بضرب الحكم احتجاجًا على قراراته.

ومن التحديات الكثيرة التي كان يشهدها الدوري السوري، بحسب الصحفي أنس عمو، وجود خلل في المنظومة الفنية، فعدد المدربين المؤهلين من حملة الشهادات المتقدمة كان قليلًا وغير كافٍ لتغطية عدد الأندية الموجودة، فخلال السنوات الماضية، لم تكن هناك دورات كافية لتأهيل المدربين.

ومن الناحية اللوجستية، قال عمو، إنه كان هناك خلل في مواعيد المباريات، وبالتالي كانت تتعارض مع الاستحقاقات الدولية، إضافة إلى سوء أرضيات الملاعب، وعدم وجود تجهيزات تكنولوجية بالنسبة للحكام كتقنية الفيديو "الفار"، وبالتالي كانت المباريات في سوريا عبارة عن دوري بدائي شبيه بدوري الأحياء الشعبية.

كما تفتقر الأندية السورية إلى الاستثمارات، ما يضع عبئًا كبيرًا على رؤساء الأندية وأعضاء الإدارة، ويؤثر على عملية دفع مستحقات اللاعبين وتطوير المنشآت الرياضية.

وقال الصحفي الرياضي ميشيل سعد، إن المشكلة الكبرى حالة الملاعب السيئة للغاية، والتي لا تصلح لكرة القدم ولا تساعد اللاعبين على التطور، إضافة إلى عدم وجود نظام واضح للدوري، وحدوث توقفات كثيرة للبطولة دون أسباب منطقية.

وأشار سعد إلى أن التحدي الأصعب يتمثل في التخلص من الفساد التحكيمي الذي أثر على نتائج المباريات، فخلال السنوات الماضية، أصبح الدوري في سوريا عبارة عن سيناريو مكتوب مسبقًا، ومحدد فيه البطل والأندية التي ستهبط إلى الدرجة الثانية.

مساعٍ لإعادة نبض الملاعب

عقب سقوط النظام السوري، قرر الاتحاد الرياضي العام تعيين محمد الحامض رئيسًا للاتحاد، خلفًا لفراس معلا الذي اتهم بالفساد والمساهمة بتدهور الرياضة السورية.

الحامض بدأ الخطوات الأولية لإعادة الحياة إلى الدوري السوري، إذ اجتمع مع رئيس اتحاد كرة القدم، واطلع على واقع المنشآت الرياضية وحالة عدد من الملاعب.

كما زار رئيس الاتحاد الرياضي العام عددًا من الأندية للاطلاع على المشكلات التي تواجهها، وبحث عقود الاستثمار التي أجرتها، وقدم وعودًا بإعادة تنظيم عقود الاستثمار، وصيانة الملاعب في سوريا وعلى رأسها ملعب "العباسيين" الذي يعتبر رمزًا لمدينة دمشق.

كذلك أعلنت عدة أندية عودة نشاطها الرياضي، وبدأ لاعبوها بالتدريبات استعدادًا لاستئناف الدوري السوري لكرة القدم.

وأعلن نادي أهلي حلب إجراء مباراة ودية مع نادي الباب، بغية تهيئة اللاعبين واستعادتهم لياقتهم البدنية، بعد توقفهم عن اللعب لأكثر من أسبوعين عقب تأجيل الدوري مع انطلاق معركة "ردع العدوان".

كذلك أعلن مجلس إدارة نادي الكرامة، الذي يتصدر الدوري، عودة النشاط الرياضي للنادي بجميع الألعاب والفئات منذ 14 من الشهر الحالي، على أن يتم التنسيق مع الكوادر الفنية والإدارية لتحديد مواعيد التمارين الخاصة بالألعاب لكل الفئات.

عنب بلدي
جريدة أسبوعية
تأسست في داريا
من كرْم الثورة
enab baladi

الأحـد 22 كانون الأول / ديسمبر 2024
العـــدد 670 – السنـــة الثالثة عشـرة
www.enabbaladi.net
20 صفحة

سوريا بعد إسقاط الأبد

لمى قنوت

نضال طويل ما زال ينتظر السوريين والسوريات من أجل بناء دولة المواطنة، دولة القانون والمؤسسات، دولة ذات نظام ديمقراطي، تعددية، حيادية تجاه جميع مواطنيها ومواطناتها وأيديولوجياتهم، دولة تضمن وتصون العدالة والمساواة والحريات الفردية والجماعية. وما إنهاء الحقبة الدموية لنظام الأسد، وإسقاطه بجميع رموزه، إلا مرحلة من مراحل تغيير بنية الدولة الاستبدادية الفاسدة. وحتى وصولنا إلى الدولة المنشودة، فإن المرحلة الحالية المؤقتة حساسة ومهمة كواحدة من المراحل التأسيسية التي يجب أن تخضع لعدسة الفحص والنقد، كي لا نسهم في صناعة طاغية آخر ونعيد إنتاج منظومة الاستبداد بلبوس جد يد .

مع تولي أحمد الشرع وحكومة تصريف الأعمال إدارة البلاد حتى بداية شهر آذار المقبل، برزت إخفاقات وقرارات اتخذت بشكل غير مدروس وبطريقة تخلو من التشاركية، يجب علينا نقدها من أجل تلافيها وتطوير عملها أو تقو يمه .

بداية، جميع التعيينات التي قام بها أحمد الشرع قائمة على الولاء الشخصي له، وذات خلفية سياسية وأيديولوجية واحدة، وتدل على رغبة في الاستئثار بالسلطة، ولم يجتمع الشرع حتى الآن مع القوى السياسية المعارضة للنظام المخلوع، أحزابًا وتجمعات وأفرادًا، في مرحلة يجب فيها التحضير الجيد لمؤتمر حوار وطني جامع والتوافق على آلية لانتخاب هيئة تأسيسية تمثل جميع أطياف الشعب وقواه السياسية لوضع دستور دائم للبلاد.

دستوريًا، ومع غياب أي تصريح رسمي حول المرجعية القانونية التي تستند إليها حكومة الأمر الواقع القائمة في إدارة البلاد، فثمة وجهتا نظر حول الوضع القانوني في سوريا حاليًا، عبر عن إحداها المحامي عارف الشعال، مشيرًا إلى اتفاق علماء القانون الدستوري على "أن الثورة تُسقط الدستور، ولكن القوانين تبقى حتى تُلغَى أو تُعدل بقوانين جديدة. وبسقوط الدستور تسقط السلطة التشريعية التي أحدثها الدستور، وتسقط كذلك السلطة السياسية التي تتولى إدارة البلاد أو ما يعرف بـ(السلطة التنفيذية)".

وأضاف أنه "يمكن للإدارة الجديدة، بمشورة المختصين بالقانون الدستوري، أن تصدر إعلانًا دستوريًا أو دستورًا مؤقتًا يضمن الحقوق والحريات المنصوص عليها في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والعهدين الدوليين، وينظم السلطة التنفيذية المؤقتة ويحدد من يملك سلطة التشريع في هذه الفترة، على أن تخضع جميع التشريعات التي تصدر لتصديق المجلس التشريعي الدائم مستقبلًا، ويفضل ترك السلطة القضائية على حالها وتنظيمها فيما بعد على أن تضمن استقلالها التام". أما وجهة النظر الأخرى فتشير إلى أن السلطة الحالية تعمل جزئيًا بموجب دستور عام 2012، وعليها أن توضح ما الأبواب والفصول والنصوص التي تستند إليها في الدستور، والجهات التي تمارس الصلاحيات.

اقتصاديًا، تحدث وزير الاقتصاد بأن "الإجراءات الاقتصادية تشمل التحوّل من منظومة اشتراكية شمولية فاسدة إلى نظام اقتصاد حر تنافسي ومفتوح"، في حين أن الهوية الليبرالية للاقتصاد توسعت في منتصف الثمانينيات خلال حكم حافظ الأسد كجزء من التكيف والاندماج مع السوق العالمية والتحولات الاقتصادية التي شهدها العالم، على الرغم من التنصيص الدستوري في دستور عام 1973 على أن اقتصاد الدولة هو "اقتصاد اشتراكي مخطط". أما الرئيس المخلوع بشار الأسد فجذر السياسات النيوليبرالية وتوسع في عملية الخصخصة وتحرير الأسواق، وخفض الدعم على عدد من السلع والخدمات، وانسحب دور الدولة من الرعاية الاجتماعية في العديد من القطاعات، ومهد ما يعرف باسم "اقتصاد السوق الاجتماعي" في الفترة 2005-2010 إلى ظهور طبقة من أبناء قيادات النظام بنت ثروات بطرق غير قانونية، وبيضت أموالها في مشاريع خدمية ومالية وترفيهية، وتحكمت بقطاع التجارة، بمشاركة مع تجار جدد، انضموا إلى شبكة الزبائنية التي قادها النظام خلال حربه ضد الشعب.

أما قرار إلغاء الرسوم الجمركية، وإن كان سيؤدي إلى خفض أسعار السلع وتوفرها للمستهلك وتعزيز المنافسة، لكنه وفي المقابل، سيقضي على ما تبقى من الصناعات المحلية التي تَضرَر الكثير من منشآتها وتراجع إنتاجها بفعل تداعيات الصراع وتدني القدرة الشرائية للناس والعقوبات الاقتصادية وفرض الإتاوات التي كان يفرضها المكتب السري التابع للقصر الجمهوري على التجار والصناعيين، بالإضافة إلى انقطاع الكهرباء وتدني الخدمات، وغالبًا ما أدى كل ذلك إلى إغلاق العديد من المنشآت أو انتقالها إلى دول أخرى أو تشغيلها بالحد الأدنى، وبالتالي فإن الاقتصاد السوري وقوانينه يجب أن تُقرّ بناء على مصالح السواد الأعظم من السوريين والسوريات لا على مصالح الأثرياء الذين يشكلون نسبة ضئيلة جدًا من المجتمع أو اعتمادًا على وصفات دولية جاهزة.

وعلى صعيد الحق في معرفة الحقيقة وحماية الأدلة والمواقع الحساسة لضمان العدالة والمحاسبة، فقد أخفقت حكومة تصريف الأعمال في حماية السجلات والوثائق في المراكز الأمنية ومراكز الاحتجاز الرسمية والسرية، مما جعلها عرضة للعبث والحرق والسرقة والتلف، وتُركت مبعثرة على الأرض، بدل حمايتها وجمعها كأدلة للكشف عن مصير المعتقلين والمفقودين قسرًا، نساء ورجالًا وأطفالًا، لاستخدامها في مسارات العدالة الانتقالية، وفشلت الحكومة أيضًا في حماية المقابر الجماعية التي اكتشفت بعد إسقاط النظام وتعرضت بعض محتوياتها للنبش العشوائي والعبث بالرفات البشري، وأدت الفوضى في تحرير المعتقلين والمعتقلات إلى إطلاق سراح سجناء مدانين بتهم جنائية.

ختامًا، في ظل المطامع الاستعمارية الإسرائيلية في أرضنا، والتربص الإقليمي والدولي في سوريا، وخطاب غربي تمييزي مستفز يصنفنا كأكثريات وأقليات طائفية، ملغيًا مواطنيتنا، وحذر عربي من امتداد عدوى الثورات وإسقاط الطغاة إلى دول أخرى، نحن أمام استكمال ما بدأناه في عام 2011، ولا سبيل لانتزاع تحررنا الجذري وتحرير أرضنا إلا بالنضال السياسي المنظم.

ألاف السوريين في حماة يحتفلون بسقوط النظام – 13 كانون الأول 2024 (عنب بلدي/ إياد عبد الجواد)

المنتصرون يوزعون النتائج

خطيب بدلة

يمكننا قراءة التاريخ بالصراخ، والخطابات، والعنتريات التي ما قتلت ذبابة، فنحقق، بالنتيجة، جهلًا، وتخلفًا، وغطسًا أكثر في الجورة التاريخية التي نقبع فيها منذ دهور.. ويمكننا، كذلك، أن نقرأه ضمن منهجية علمية، أقرب ما تكون إلى العقل والمنطق، وهذا يفيدنا، بالطبع.

خذ مثلًا من تاريخنا المعاصر، انتصرت بريطانيا وفرنسا، في الحرب العالمية الأولى (1914- 1918)، وكان من الطبيعي أن تتقاسما البلاد التي خرجت منها الدولة العثمانية منهزمة، بلادنا. رسمت بريطانيا وفرنسا الخرائط، ضمن اتفاقية "سايكس بيكو"، وباشرتا بتنفيذها سنة 1920، وكانت بريطانيا قد أعطت، في سنة 1916، لحلفائها اليهود وعدًا بتأسيس دولة إسرائيل، "وعد بلفور"، نفذوه في سنة 1948، بإشراف بريطانيا نفسها، ووعدًا آخر، للشريف حسين بن علي، والي الحجاز، بإقامة مملكة عربية، على الأرض السورية، وبالفعل، جاء فيصل بن الحسين إلى دمشق، في تشرين الأول 1918، وبدأ العمل على تأسيس مملكته، ولكن فرنسا أخرجته منها، في تموز 1920، وحلت مكانه.

الهدف من التذكير بتلك الأحداث، القول بأن المنتصرين هم الذين يوزعون "الجلاءات"، ويحددون مسار الدول الصغيرة، الضعيفة، كدولنا، واليوم، بعد أن خاضت أمريكا وإسرائيل حربًا طويلة، شرسة، على الوجود الإيراني في منطقة الشرق الأوسط، خرجتا منتصرتين، ولهذا نراهما تمليان شروطهما على المنطقة كلها، وليس غريبًا أن نرى الحدود القديمة لهذه البلاد تنزاح، أو يعاد رسمها، وفقًا لإرادة تينك الدولتين.

أعطانا رئيس أمريكا، جو بايدن، خلاصة ما جرى لنظام بشار الأسد، بجملة واحدة، شديدة التركيز، هي أن سبب سقوطه كان إصراره على السير في ركب روسيا وإيران، مع رسالة ثانية تتعلق بدعم الكرد، وبالأخص في مجال مكافحة الإرهاب.

في اليوم التالي لسقوط نظام الأسد، أعطى رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، ضوءًا أخضر للجيش الإسرائيلي، باحتلال جبل الشيخ، وإقامة منطقة عازلة في الجولان، متذرعًا بأن اتفاق فصل القوات الذي وقع سنة 1974، ينص على ذلك، تبعه تصريح رئيس الأركان الإسرائيلي، هيرتسي هاليفي، بأن سوريا قد أصبحت بالنسبة لإسرائيل، جبهة قتال، وفي ذلك اليوم المشهود، 9 من كانون الأول 2024، انقض الطيران الإسرائيلي على القطعات البحرية السورية، والدفاعات الجوية، والأماكن التي ربما كانت تحتوي على أسلحة كيماوية، أو جرثومية، فتحقق لإسرائيل أكبر نصر على سوريا، في تاريخها كله، ومنيت سوريا بأكبر هزيمة في تاريخها.

كان صوت العقل السوري، خلال السنوات الأخيرة، يواجه بالتخوين، والتكفير، والصراخ، والشعارات. كانت الجوقة، التي تسرح وتمرح في فضاءات "السوشيال ميديا"، تقيم الكون وتقعده على رأس أي إنسان واقعي، مطالبين إياه بـ"التطنيش" على ما يراه، والانضمام إلى الهتيفة، والصييحة، والسحيجة، وبقينا نعيش على هذا المنوال حتى وقع الرأس في الرأس، ومنينا بكمية لا يستهان بها من الهزائم الجديدة.

الشعب السوري، اليوم، أعزل، ومرهق، وممزق، وقلق، والمنتصرون يوزعون "الجلاءات" علينا. إذا سألتني ماذا نفعل؟ هل نستسلم؟ أقول لك رأيي، وبكل محبة وتواضع: تعالوا نعمل على إنقاذ ما يمكن إنقاذه من سوريا، وهذا أقصى ما في يدنا أن نفعله.